

تحت شعار «أوقف.. لأجر لا يتوقف»  
المؤتمر الإسلامي للأوقاف يوصي بإنشاء  
بنك إسلامي للأموال الوقفية

# الرابطة

Alrabetah

السنة ٥٣ العدد ١٠١ صفر ١٤٣٨ هـ - نوفمبر ٢٠١٦ م



الفتنة  
الطائفية  
من المسؤول عن إحياها ؟



## قلق دولي مبرر بسبب قانون (جاستا)

عواقب وخيمة. إن مجمل القوانين بما فيها القوانين الوضعية الحديثة، يفترض أنها تصدر عن أساس أخلاقي، حتى تقترب النصوص القانونية من مقصد العدل... ويُفترض في أيّ مشروع عند صياغته للنصوص القانونية أن يراعي جملة من الاعتبارات الخلقية والدينية والاقتصادية والاجتماعية، ولذلك ينبغي ألا يوجد تعارض بين هذه النصوص وبين الأخلاق من الناحية المبدئية. وكما هو واضح فإن الظروف التي صدر فيها قانون (جاستا) تلقي عليه بظلال كثيفة من الشك، في أن المقصد منه سياسي في المقام الأول وليس منطلقه العدالة أو الأخلاق. يعبر عن ذلك بوضوح مسلك سابق عندما رُفعت الحصانة بقانون أمريكي عن بعض الدول باعتبارها دولاً راعية للإرهاب، وأمكن لعائلات ضحايا أمريكيين مقاضاة تلك الدول. وقد ظل السجل بين أمريكا وبين هذه الدول سجلاً سياسياً في الصميم وإن تلبّس بدثار قانوني. إن ردود الفعل الصادرة تجاه هذا القانون تؤكد التمسك بما استقر عليه النظام الدولي منذ سنين من أنه لا يجوز لدولة ذات سيادة أن تفرض سلطاتها القضائية على دول أخرى ذات سيادة استناداً إلى معايير تعسفية وسيلة لممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية، وإلا اعتبر الأمر خرقاً لاستقلال الدول وانتهاكاً صريحاً لمبادئ مستقرة في القانون الدولي وفي العلاقات الدولية. وإذا لم تسع دول العالم أجمع لإبطال هذا القانون المسخ، فإن عليها إعادة النظر في قوانين الأمم المتحدة أو إلغائها، والعودة لسياسة النظم السائدة قبل قيام منظمة الأمم المتحدة وقوانينها التي تسعى ولو شكلياً لتحقيق الأمن والسلم الدوليين، ومن ثمّ هدم كل المعاهدات والمواثيق الدولية. أما إذا استمر القانون فهو يؤذن بفتح الباب على مصراعيه، لتصدر كل دولة قانوناً يعطيها الحق في مقاضاة الدول الأخرى، ويدخل العالم مرحلة فوضى وعيب تشريعي عندما يكون لكل دولة قانونها الخاص بها الذي يحميها من الدول الأخرى، ويعطيها الحق في السيادة عليها، ومطالبتها بالمثل أمام قضاتها تماماً كالأفراد. وهكذا تفقد الدول هيبتها وتنهار الثقة بينها، فتتأثر التجارة الدولية والاقتصاد والسوق العالمي، حيث ستصل المعاملات الاقتصادية بين الدول إلى أدنى مستوى.

ما أبدته العديد من الدول والمنظمات والهيئات من قلق كبير تجاه القانون الصادر باسم (قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب)، له ما يبرره. فهذا القانون يمس بمبادئ المساواة والحصانة السيادية للدول. وفيه مخالفة واضحة وصريحة لميثاق الأمم المتحدة، ومبادئ القانون الدولي؛ وهو مناقضٌ لأسس العلاقات الدولية القائمة على مبادئ المساواة في السيادة، وحصانة الدولة، والاحترام المتبادل. وعدم فرض القوانين الداخلية لأي دولة على الدولة الأخرى. وكان طبيعياً أن يلقي هذا القانون معارضة العديد من الدول. ناهيك عن الكثير من الخبراء والمسؤولين الأمريكيين أنفسهم؛ في ظل استشعارهم للمخاطر التي يشكلها هذا القانون في العلاقات الدولية. وقد أعربت الإدارة الأمريكية عن معارضتها للقانون المسمى اختصاراً (جاستا) بصيغته، وذلك على لسان الرئيس الأمريكي، ووزير الدفاع، ورئيس هيئة الأركان المشتركة، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية. إن الشائع في أعراف التعامل الدولي، هو النظر إلى القانون الداخلي بحسبانه قانون خضوع، صادر عن دولٍ يعينها للتطبيق داخل حدودها، فكيف يخضع القانون الدولي - وهو قانون تنسيق وتعاون بين دول متساوية السيادة - لقانون داخلي مثل القانون الذي أصدره الكونجرس بإرادته المنفردة؟! من المتصور أن يحيل قانون داخلي إلى قانون دولي، أو أن يحيل قانون دولي إلى قانون داخلي، ولكن يكون ذلك في إطار إجراءات متفق عليها، مع مراعاة مدى الاختلاف في فعالية القانونين الداخلي والدولي. أما أن تُعطى الفعالية وكفالة التنفيذ للقانون الداخلي على هذا النحو الذي جرى التصديق عليه في الكونجرس، فهو غير منطقي ولا عملي. لقد عمد بعض المشرعين في سوابق معينة إلى إدماج قواعد القانون الدولي في القانون الداخلي، وعدم النظر إلى القانون الدولي على أنه قانون خارجي. أما جعل القانون الداخلي ملزماً لأفراد ومنظمات ودول في الخارج، فهذا ما لم تثبت به النظم العالمية بأية حال. لقد صدر هذا القانون وفقاً لإرادة متعجلة وغير حكيمة، وإذا مضت الولايات المتحدة الأمريكية في إنفاذه فسوف تكون له



## الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

معالي الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المدير العام للإعلام والمكاتب والمراكز الخارجية

د. حسن بن علي الأهدل

مدير إدارة الشؤون الإعلامية

محمد بن بكر حمدي

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

شاكر بن صلاح العدوانى

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠١٠٧٧

سنتال: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني: rabbitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة»

لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع

الرابطة على الإنترنت [www.themwl.org](http://www.themwl.org)

أخبار العالم الإسلامي [www.mwl-news.net](http://www.mwl-news.net)

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردم: ١٦٩٥ - ١٦٥٨

## الفتنة الطائفية من المسؤول عن إحياؤها ؟

من أكبر المخاطر التي تستهدف الأمة الإسلامية وعقيدتها: الحرب الطائفية بكل أشكالها السياسية والإعلامية والعسكرية. وتشهد السنوات الأخيرة تصعيداً في إشعال الفتن الطائفية في أكثر من دولة، وتبدو أصابع النظام الإيراني الطائفي واضحة للعيان، إذ يتورط في التحريض الطائفي أداة لمكاسب سياسية وطموحات توسعية.. فإلى أي مدى يتحمل النظام الإيراني مسؤولية إشعال الفتن الطائفية في المنطقة، وما الهدف من ذلك؟ وإلى أي مدى يؤثر هذا التحريض في إشعال الفتن بين المسلمين؟ وما أبعاد التهديد الطائفي الماثل اليوم؟



### المحتويات

- ٤ المؤتمر الإسلامي للأوقاف يوصي بإنشاء بنك إسلامي للأموال الوقفية.....
- ٦ علماء باكستان: تنظيم الحج حق سيادي للمملكة.....
- ٨ تنفيذ ١٦٨ مشروعاً لرابطة العالم الإسلامي حول العالم خلال ٣ شهر.....
- ٩ اليونسكو تتبنى قراراً نهائياً بأن القدس الشرقية تراث إسلامي.....
- ١٠ الرئيس الفرنسي: المرأة المحجبة هي (ماريان) المستقبل في فرنسا.....
- ١١ جهود المدارس الدينية لتثقيف المجتمع الباكستاني.....
- ١٤ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة البرتغالية.....
- ١٧ منهج القرآن الكريم في تربية الجانب العقلي للإنسان المسلم.....
- ٢١ مواقف دعوية مع الداعية الشيخ نعمة الله (٣/٢).....



# المحتويات

العدد: ٦٠١

صفر ١٤٣٨ هـ - نوفمبر ٢٠١٦ م

## حرية الكسب والإنفاق في هذا العصر

تعتبر كلمة «الحرية» من المصطلحات التي لها دلالات واسعة، وتعددت فيها الرؤى. وشغلت كثيرين من رجال الفلسفة، والمؤرخين، ورجال الفكر الإسلامي، والفقهاء، فبدلوا جهودًا في بيان مفهومها، ومركزاتها، وكتبت حولها مؤلفات قديمة وحديثة تناولت مفهوم «الحرية الفردية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية، والدينية، والعلاقة بينها وبين المسؤولية».



داخل العدد



ترجمة معاني القرآن الكريم  
إلى اللغة البرتغالية  
أحمد صالح محاري



حرية الكسب والإنفاق  
في هذا العصر  
د. محمد تاج العروسي



أزماتنا... كيف نفهمها  
وكيف نتعامل معها؟  
محمد سكحال

- الفتنة الطائفية من المسؤول عن إحياها؟ ..... ٢٢
- حرية الكسب والإنفاق في هذا العصر ..... ٢٨
- حكمة الضفدع.. في عالم متعدد! ..... ٣٣
- حزام مذهب في الركن اليماني ..... ٣٥
- أزماتنا... كيف نفهمها وكيف نتعامل معها؟ ..... ٣٨
- نظرة في دفاع الشاعر الأندلسي عن الإسلام ..... ٤١
- الرافعي أديب العربية والإسلام ..... ٤٦
- إغلاق السودان لما تبقى من الممثلات والجمعيات الإيرانية ..... ٤٩
- من آداب الشعوب المسلمة نماذج من الأدب المليباري ..... ٥٢
- الحفاظة على الهوية الإسلامية ..... ٥٧
- وأقبل الشتاء ربيع المؤمن ..... ٥٩
- حقائق حول سرطان الجلد ..... ٦٠
- الإسلام يدعو إلى الأخلاق الحميدة ..... ٦٤

# تحت شعار (( أوقف.. لأجر لا يتوقف )) المؤتمر الإسلامي للأوقاف يوصي بإنشاء بنك إسلامي للأموال الوقفية



للأوقاف وتنمية مواردها، داعياً المختصين لإنقاذ الأوقاف المهملة، أو المجمدة، والمعلقة، وكذلك المنسية، بإيجاد آليات دائمة للاستمرارية، وأفاد أن السعودية مازالت رائدة في قطاع الأوقاف عالمياً، حيث تتجاوز قيمة الأوقاف فيها ٥٠٠ مليار ريال، لهذا كان الاهتمام بالقطاع واجبا حتى يتفق في مسيرته مع التوجهات الإستراتيجية للبلاد، لافتاً النظر إلى أن الكثير من العوائد الاستثمارية للأوقاف تهدر نتيجة لتزايد القضايا، وعدم إلمام بعض الجهات بعمل الأوقاف، كما أنها لم تأخذ نصيبها في التنمية، وانحصرت في العقارات القديمة مع تدني إدارتها اقتصادياً.

عقب ذلك شاهد الحضور عرضاً مرئياً عن الأوقاف في المملكة العربية السعودية .

ثم ألقى رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر المهندس محمود بن أحمد العوضي كلمة أوضح فيها أن المؤتمر يتناول العديد من الموضوعات منها الأوقاف والتنمية ضمن رؤية المملكة ٢٠٣٠، ودور هيئة الأوقاف في تحقيق الرؤية، إلى جانب الأوقاف المكية ورسالتها العالمية، وكذلك الأوقاف والتنمية العلمية، كما يستعرض مبادرات رعاية الموهوبين في المملكة العربية السعودية، ودور الوقف في نشر وتطوير التعليم والتعليم الإلكتروني، إلى جانب التشريعات الفقهية وأثرها على تنمية الأوقاف، وأثرها الاجتماعي والتنموي، إلى جانب دور الأوقاف في تأسيس وتشغيل المؤسسات الصحية العلاجية، وتخفيف المسؤولية الاجتماعية الصحية والخدمية

## مكة المكرمة: واس

افتتح معالي وزير العمل والتنمية الاجتماعية رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للأوقاف الدكتور مفرج بن سعد الحقباني في ١٧ محرم ١٤٣٨ هـ أعمال المؤتمر الإسلامي للأوقاف تحت شعار «أوقف... لأجر لا يتوقف» الذي أقامته الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة برعاية صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل مستشار خادم الحرمين الشريفين أمير منطقة مكة المكرمة، وبشراكة إستراتيجية من الهيئة العامة للأوقاف لمدة ثلاثة أيام بمشاركة عدد من أصحاب المعالي الوزراء في الدول الإسلامية ونخبة من المتحدثين على مستوى الدول الإسلامية، وذلك في مقر الغرفة بمكة المكرمة. وبدئ الحفل الخطابي المعد لهذه المناسبة بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ثم ألقى رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة ماهر بن صالح جمال كلمة رحب فيها بالجميع، مؤكداً على أهمية هذا المؤتمر الذي يواكب إطلاق رؤية المملكة ٢٠٣٠ التي نصت على دور الأوقاف في تعظيم الأثر الاجتماعي للقطاع غير الربحي، وإبراز دور الوقف وأثره في تفعيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة والنظم الوقفية وسبل تنمية مواردها.

ودعا إلى تقديم الحلول للمشكلات التي تواجه الأوقاف، إلى جانب الخروج بمشاريع ومبادرات وقفية تنموية قابلة للتنفيذ المباشر، ونقل الخبرات الوقفية والتعريف بأنظمتها في الدول الإسلامية الأخرى إضافة إلى إسهام في تطوير البيئة التشريعية والتنظيمية

والصناعية. وكذلك الصورة الذهنية للوقف في وسائل الإعلام علاوة على قياس الأثر بالعمل الوقفي. واستعراض الرؤية المستقبلية للأوقاف في خدمات الحجاج والمعتمرين. وأوقاف الصحة والسلامة لهم. إضافة إلى الأوقاف ودورها في تثقيف الحجاج والمعتمرين. والصيغ التمويلية للأوقاف التنموية عبر صناديق الوقف المشتركة. وخصائص الوقف المؤثرة في أدائه الاقتصادي. وصيغ التمويل النقدية. إلى جانب استعراض تجربة البنك الإسلامي. كما اشتمل برنامج المؤتمر على:

التجارب الدولية في الأوقاف بحضور عدد من أصحاب المعالي وزراء الأوقاف من الدول الإسلامية «تركيا. الكويت. السودان. الأردن. وكشف عن اعتماد أول مشروع للهيئة العامة للأوقاف يتمثل في مشروع» حصر الأوقاف في المملكة» للتعرف على وضعها الراهن.

بعد ذلك ألقى معالي وزير العمل والتنمية الاجتماعية رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للأوقاف الدكتور مفرج بن سعد الحقباني كلمة نوه فيها بما توليه حكومة هذه البلاد المباركة من عناية فائقة بالأوقاف وحرصها على تنظيم آلياتها بما يحقق الأهداف المرجوة منها، معبراً عن شكره وتقديره للقائمين على المؤتمر الذي يجسد اهتمام الجميع في بلاد الحرمين بالأوقاف الإسلامية. معبراً عن أمله في أن يخرج المؤتمر بتوصيات تساهم في رقي مسيرة الأوقاف في الدول الإسلامية.

#### توصيات المؤتمر

وأوصى المؤتمر في ختام أعماله بإنشاء بنك إسلامي أو صناديق وحافظات للأموال الوقفية. والعمل على حل مشكلة عدم تعامل قطاعات التمويل مع الأوقاف. وإنشاء مركز التميز الوقفي بغرفة مكة المكرمة. واعتماد الوقف رافداً مجتمعياً يضاف للجهود الضخمة والتميزة التي تبذلها المملكة لخدمة ضيوف الرحمن. وضرورة العناية بأوقاف الحرمين الشريفين الموجودة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وحرصها وتفعيل دورها وإحيائها. وجاء في إعلان «مكة للأوقاف» الصادر عن المؤتمر. الذي قدم فيه وزراء الأوقاف في كل من تركيا والأردن والسودان وماليزيا جارب الأوقاف في بلادهم. أن مكة المكرمة ستكون حاضنة للمؤتمر في أعوامه القادمة. وقد حدد مواعيد المقبل في ٢٧-٢٩ محرم من العام ١٤٣٩هـ بغرفة مكة المكرمة.

واعتمدت توصيات المؤتمر اقتراحات معالي وزير العمل والتنمية الاجتماعية رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للأوقاف الدكتور مفرج بن سعد الحقباني كمنطلقات أساسية للانطلاق التطويرية التكاملية للقطاع الوقفي في المملكة. والتي تلخص في أن تعمل الهيئة مع الجهات المشرفة على قطاع الأوقاف لإيجاد بيئة محفزة ومشجعة يتم من خلالها تطوير التشريعات والتنظيمات المتعلقة بالقطاع وفق أطر الحوكمة والشفافية العالية.

وأشارت التوصيات إلى أن (١٢٧) مبادرة في مختلف المجالات من تعليمية وصحية وخدمة ضيوف الرحمن وصلت إلى المؤتمر. ستتم دراستها ليساهم بعض منها في التنمية الاقتصادية الوطنية الشاملة وعموم خدمات الأوقاف على مستوى العالم الإسلامي.

وأكدت توصيات المؤتمر تطوير الأوقاف ورأس المال البشري العامل بها من خلال الدعوة لاستثمار الكراسي العلمية والبحوث الجامعية والدراسات العليا وتوجيهها في مجال الأوقاف لإثرائه مع ضرورة تبنيها من ضمن مصارف الأوقاف. والدعوة لتوسيع الاجتهاد الفقهي في مجال الوقف ودراسة التطبيقات العالمية المبتكرة للاستفادة منها. والعناية بقياس الأثر. وإطلاق جائزة للأوقاف المتميزة في خدمة المجتمع. فضلاً عن تأهيل خبراء واعتمادهم من قبل الجهات الرسمية. وتطوير قدرات النظائر والعاملين في الأوقاف من خلال الدرجات الجامعية والبرامج التأهيلية والدورات التدريبية.

وحرصت التوصيات على التأكيد بأن الهيئة العامة للأوقاف تعمل بالشراكة مع الواقفين والمتخصصين والمؤسسات والمراكز المتخصصة لتحويل قطاع الأوقاف بالمملكة إلى قطاع تنموي حضاري يساهم بشكل فعال في التنمية الاقتصادية الوطنية الشاملة ويلبي احتياجات التنمية في البلاد والاحتياجات الجغرافية لكل منطقة وفقاً لطبيعتها وخصائصها. ويساهم كذلك في الناجح المحلي الوطني ليكون مواكبا لرؤية المملكة ٢٠٣٠. ودعت إلى تشكيل أمانة دائمة للمؤتمر بالشراكة مع غرفة مكة المكرمة ولجنة الأوقاف بها لاستمرار العمل على مخرجات المؤتمر الحالي والتحضير للمؤتمر القادم. والعمل على أن يكون المؤتمر الحالي نموذجاً للإيجاز. وأن يكون المؤتمر المقبل نموذجاً للإبداع. واعتبار جميع المشاركين في المؤتمر شركاء دائمين في برامج ورش العمل وحلقات النقاش التي سيتم تنظيمها بعد المؤتمر لإنضاج وحريك مبادرات المؤتمر من جهة والإعداد والتحضير للمؤتمر المقبل من جهة أخرى.





باكستان تعتبر قانون جاستا خطراً على الأمن العالمي

## علماء باكستان: تنظيم الحج حق سيادي للمملكة

مؤتمر وحدة الأمة في باكستان يؤيد توصيات مؤتمر (الإسلام رسالة سلام واعتدال)



باكستان – من عبدالرحمن حيات

مثل إيران لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير. وقد أعرب رئيس الوزراء الباكستاني نواز شريف عن قلقه إزاء هذا القانون المثير للجدل. مؤكداً في كلمته أمام الدورة الـ ٧١ للجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك أن الإرهاب ظاهرة عالمية. وعلى المجتمع الدولي أن يتعامل مع هذه الظاهرة عن طريق تكامل وتنسيق الجهود .. مشدداً على أن إقرار أي قانون لمكافحة الإرهاب لا يجب أن يستهدف دولاً بعينها.

استنكرت باكستان على المستوى الحكومي والشعبي نقض الكونغرس الأمريكي للفيديو الرئاسي الخاص بالرئيس باراك أوباما حول إقرار «قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب» المعروف اختصاراً بقانون «جاستا». وعدته تطوراً خطيراً يستهدف سيادة الدول ويمثل خطراً على الأمن العالمي. فيما عده العلماء والسياسيون في باكستان مؤامرة دولية تستهدف الدول الإسلامية لإضعافها ونشيت كيان الأمن ضمن مخطط تدعمه قوى إقليمية

وقال المتحدث باسم الخارجية الباكستانية نفيس زكريا إن باكستان قد أعربت عن قلقها إزاء هذا القانون الذي يجيز للسلطات المحلية الأمريكية العمل خارج نطاق سلطتها. موضحاً أن باكستان تنظر بقلق بالغ لرفض الكونغرس الأمريكي الفيتو الرئاسي ضد قانون «جاستا»، وأشار إلى أن عدة دول في أوروبا والشرق الأوسط قد أبدت القلق تجاه هذا القانون المثير للجدل، والذي يسمح لأصحابا هجمات الحادي عشر من سبتمبر بمقاضاة الحكومات التي يتبع لها منفذو الاعتداءات.

أما العلماء والسياسيون في باكستان فقد عقدوا عدداً من المؤتمرات والندوات لاستنكار هذا القانون والمطالبة بإلغائه على الفور، وكان من أبرز المؤتمرات على هذا الصعيد المؤتمر الذي عقده مجلس علماء باكستان برئاسة الشيخ طاهر محمود الأشرافي في إسلام آباد تحت عنوان (مؤتمر وحدة الأمة) برعاية معالي وزير الشؤون الدينية الباكستاني سردار محمد يوسف، وحضور عدد من العلماء من مختلف الجمعيات الإسلامية وشخصيات سياسية مختلفة وممثلين عن مؤسسات المجتمع المدني وشخصيات ثقافية. وثنى معالي وزير الشؤون الدينية الباكستاني سردار محمد يوسف جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين وتقديم الخدمات الكبيرة للحجاج والمعتزمين والعناية بالحرمين الشريفين. وقال في كلمته بالمؤتمر إن باكستان وجميع الدول الإسلامية تقف مع المملكة العربية السعودية وتقدر جهودها في مكافحة الإرهاب والدفاع عن القضايا الإسلامية، وتضمن الدور الريادي الذي تؤديه بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - في دعم الأمن والاستقرار الإقليمي والعالمي. وأضاف أن باكستان أعربت عن قلقها إزاء قانون «جاستا» الذي يجيز للسلطات المحلية الأمريكية العمل خارج نطاق سلطتها، مشيراً إلى أن هذا القانون يعتبر تطوراً خطيراً يستهدف سيادة الدول ولا بد من إلغائه.

وقال الشيخ الأشرافي من جانبه إن العلماء والمفكرين في باكستان يرون في قانون «جاستا» مؤامرة دولية تستهدف الدول الإسلامية وخاصة المملكة العربية السعودية وجمهورية باكستان وتركيا لإضعاف كيانهما ضمن مخطط تدعمه قوى إقليمية مثل إيران لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، موضحاً أن قانون «جاستا» يمثل انتهاكاً لمبادئ المساواة والحصانة السيادية للدول. ويقوض الأعراف الدولية المستقرة.

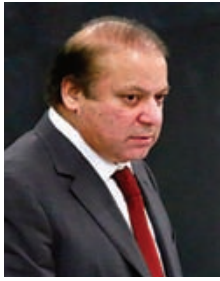
ولفت إلى أن هذا القانون إذا كان يتيح لأهالي ضحايا هجمات ١١ سبتمبر حق مقاضاة الدول المتهمه فيها

فإنه يمنح الشعوب المتضررة من الحروب الأمريكية أيضاً حق محاكمة السلطات الأمريكية. محذراً من أن هذا القانون لا يستهدف المملكة العربية السعودية فحسب.. بل يستهدف جميع الدول الإسلامية ويهدد الأمن العالمي. مؤكداً أن المملكة سعت دائماً إلى مكافحة الإرهاب ومعالجة التحديات الإقليمية والدولية بالطرق السلمية.



وجدد الشيخ الأشرافي إدانة علماء باكستان للغارات التي تنفذها قوات بشار الأسد والقوات الإيرانية والروسية على المدنيين الأبرياء في حلب وباقي المناطق السورية، مطالباً المجتمع الدولي بضرورة اتخاذ خطوات جادة وسريعة لوقف المجازر الجارية بحق الشعب السوري.

وأكد البيان الختامي لـ (مؤتمر وحدة الأمة) الذي عقده مجلس علماء باكستان في إسلام آباد تأييد علماء باكستان لما جاء في مقررات وتوصيات مؤتمر (الإسلام رسالة سلام واعتدال) الذي انعقد بمشعر منى في ٢٠١٢/١٢/٤٣هـ تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي. وقال رئيس مجلس علماء باكستان الشيخ طاهر محمود الأشرافي إن ما جاء في توصيات مؤتمر (الإسلام رسالة سلام واعتدال) يعكس موقف العلماء في جميع الدول الإسلامية ويمثل صوت الأمة، وتحدد فيما يخص البيان الصادر عن رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية للعلماء المسلمين المتضمن التعبير عن بالغ القلق إزاء قانون «جاستا» الأمريكي، والمطالبة بوضع حد للتدخلات الإقليمية في شؤون الدول العربية والإسلامية لمعالجة التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية. واستنكار ما صدر عن بعض المسؤولين الإيرانيين وأتباعهم من تدخل سافر في شؤون الحج ومحاولتهم تسييس الحج، مؤكداً أن تنظيم الحج هو حق سيادي للمملكة العربية السعودية، وأن الأمة الإسلامية تثق في قدرة المملكة على تنظيم الحج والعمره والعناية بالحرمين الشريفين منذ عقود، وأن المحاولات الإيرانية في التدخل في شؤون الحج تعتبر محاولة منها لتسييس الحج الذي جعله الله سبحانه وتعالى عبادة خالصة لوجهه الكريم.



لوجهه الكريم.





## تنفيذ ١٦٨ مشروعاً لرابطة العالم الإسلامي حول العالم خلال ٣ أشهر



للإعجاز العالمي في القرآن والسنة، والهيئة العالمية للتعريف بالرسول الكريم، والهيئة العالمية للعلماء المسلمين، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية. وذلك بعد أن أتمت الرابطة تصحيح أوضاع هيئاتها بما يتفق مع بروتوكول دولة المقر الموقع مع وزارة الخارجية، حيث طالبت الجهات المعنية بإنهاء وضع كل هيئة مخالفة للبروتوكول.

الرياض: خاص

نفذت رابطة العالم الإسلامي ١٦٨ مشروعاً في عدد من الدول بقارة آسيا خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة. وأوضحت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي أن هذه المشروعات، نفذتها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، واشتملت على عدد من المساجد، و١٥٩ مبرة خيرية في مجموعة من الدول. تجدر الإشارة أن هيئة الإغاثة تعد من أهم أذرع العمل الخيري العالمية التابعة لرابطة العالم الإسلامي، إلى جانب الدعم الخيري عن طريق الإدارة المركزية للأمانة العامة للرابطة، ولاسيما في الجوانب العلمية والتوعوية من خلال الدعاة، كما اكتملت لدى الرابطة خطة المرحلة الأولى من برامج تهدف لمواجهة المد المتطرف في عدد من الدول.

جدير بالذكر أن هيئات الرابطة العالمية تنحصر في المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي، والمجلس التنفيذي لرابطة العالم الإسلامي، والمجلس الأعلى للمساجد، والمجمع الفقهي الإسلامي، والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، والهيئة العالمية

## منظمة الرؤية السديدة في شيكاغو وحملة مبتكرة لمحاربة الإرهاب



مكة: (خاص)

أدى فريضة الحج مع رابطة العالم الإسلامي. الدكتور محمد صديقي المدير التنفيذي لمنظمة الرؤية السديدة Sound Vision في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية. وهو أمريكي من أصول هندية وشرح المجالات التي تنشط فيها منظمته الدينية غير الربحية.

نشطت المنظمة منذ نشأتها قبل (٢٨) عامًا في خلق جسور التواصل بين المسلمين وبين أصحاب الأديان والثقافات الأخرى في المجتمع الأمريكي عبر الإعلام والعلاقات العامة. وكان لهم دور في مخاطبة الرأي العام الأمريكي في قضية المسلمين في البوسنة والهرسك وكافة القضايا الإسلامية.

وتعمل المنظمة في إيجاد خطاب داخلي للمسلمين من أجل المحافظة على دينهم وثقافتهم ولا سيما وسط الشباب والناشئين والأطفال. تتبع لها إذاعة راديو إسلام. والموقع الإلكتروني (ساوند فيجن دوت كوم). وفي المجال الاجتماعي. حرصت المنظمة على مساعدة المسلمين في احتفالاتهم الدينية مثل العيدين. وتقديم المقترحات في كيفية الاحتفال بالأعياد في بلد غير مسلم وتساهم بتقديم الحلوى للمصلين عقب الصلاة في العيدين وتوزيع (العبيدة) والهدايا للأطفال. والتصدق على الفقراء والمحتاجين.

وفي السنوات الأخيرة توجه الاهتمام إلى مواجهة «الإسلاموفوبيا». ونجحت المنظمة في إدخالها ضمن الأنشطة الطلابية في المدارس. باعتبار الخوف من الإسلام توجهًا في التمييز والعنصرية لا تقل سوءًا من اللاسامية أو التمييز ضد الأعراق اللاتينية والإفريقية.

بعد الإعلان في استطلاع حديث للرأي عن أن ١٧٪ من الأمريكيين هم فقط من لديهم توجه إيجابي تجاه المسلمين. عملت المنظمة في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين. بالتركيز على التفريق بين الإسلام الحقيقي والحركات التي أساءت للإسلام باتباع طريق العنف والتطرف. أما الخطوة التي لفت الأنظار خلال الأشهر الأخيرة فهي حملة البراءة من (داعش) التي قامت بها المنظمة في مدينتي شيكاغو ونيويورك.

يقول أحد المسؤولين في المنظمة: نحن تكلمنا كثيرًا في الإعلام أننا ضد الجماعات الإرهابية. وأن جماعة داعش جماعة كراهية ولا تمثلنا. ويبدو أن كلامنا لا أحد يسمعه، فاتبعنا أسلوبًا في خطاب المجتمع عبر لوحات عملاقة BILLBOARDS كتبت عليها جملة مختصرة:

Hey ISIS You Suck وتعني تقريبًا: «إبه داعش أنت سيء» مع وضع إشارة - في طرف اللوحة - إلى الآية (٣٢) من سورة المائدة: «من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون».

جاءت النتيجة من هذه الحملة إيجابية جدًا. فقد أدارت اللوحة الأعناق. ودخل موقف المسلمين من «داعش» في المناقشات العامة للناس في كل مكان بالمدينة. واهتمت وسائل الإعلام بهذه الحملة. إذ تناولتها بالتعليق ويعرض مواد إخبارية كل من الإذاعة والصحافة. وعرضتها قنوات فوكس. و سي بي أس. و أن بي سي و أي بي سي. وتتطلع المنظمة إلى نقل اللوحات إلى نيويورك ومنطقتها الأكثر اكتظاظًا بالسكان (تاوونز سكوير).

وتضع المنظمة في أولوياتها محاربة (الإسلاموفوبيا). ولدى المنظمة منهج في ذلك. يوضحه مقال لعبد المالك مجاهد في موقع المنظمة SoundVision.com قال فيه: أولاً: حدد المشكلة وأعطاها سمة خاصة. فإذا أنت لم تسم عدوك وتعينه. لا تستطيع محاربتهم. ولذلك تسعى بعض الجهات المعادية للإسلام على عدم استخدام المصطلح. حتى إن يوناتيد برس تجنب استخدامهم وقتًا طويلاً.

ثانيًا: اجعل الإسلاموفوبيا رديفًا لمعاداة السامية والعنصرية. فكلها ثمرة من شجرة واحدة: ألا وهي شجرة الكراهية. ثالثًا: ليكن اتصالك شخصيًا ومباشرًا مع وسائل الإعلام. إن رسائل القراء التي تعقب أو تعلق أو تعترض أو تشتكي. لها تأثير كبير على سياسات التحرير وتوجيه اتجاهات الرأي داخل المؤسسات الإعلامية. (من المعروف أن المسلمين أقل جوابًا مع وسائل الإعلام). ومن المفيد المشاركة في البرامج الحية On Line Forums التي تتيح مشاركات المشاهدين والمستمعين.



## الرئيس الفرنسي:

### المرأة المحجبة هي (ماريان) المستقبل في فرنسا

الفرنسي لا يمكن أن يفوز بالانتخابات الرئاسية بتوظيف موضوع الهوية ولا يمكن أصلاً أن يوحد صفوفه باسم الهوية.

في المقابل، اعترف الرئيس أن هناك مشكلة مع الإسلام في فرنسا، لا سيما أن هذه الديانة أصبحت تطالب بأماكن جديدة للعبادة، وتريد أن تفرض نفسها في الجمهورية الفرنسية حسب تعبيره.

وقال هولاند بهذا الشأن: «المشكلة ليست في الإسلام بحد ذاته، بل في بعض المسلمين الذين يرفضون نبذ العنف والتطرف. وفي بعض الأئمة الذين يتصرفون بشكل غير لائق وغير جمهوري».

وفي سياق آخر، انتقد فرانسوا هولاند بعنف غير معهود الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي ووصفه بـ«العصبي» والـ«جشع».

واستذكر هولاند الحوار الذي جمعه بساركوزي أثناء رحلته إلى جنوب إفريقيا للمشاركة في جنازة الزعيم نيلسون مانديلا قائلاً: «كان يتحدث فقط عن الأموال التي اكتسبها من المحاضرات التي كان يلقيها عبر العالم، وعن منزل عائلته وزوجته كارلا برون».

لكن ورغم الانتقادات اللاذعة التي وجهها هولاند لساركوزي، فإنه أكد بأنه سيصوت لصالح ساركوزي في حال انحصر الصراع الانتخابي في الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية في ٢٠١٧م بين هذا الأخير ومارين لوبان. فقال هولاند «نعم سأذهب لأصوت ضد مارين لوبان. يجب التذكير أنني دعوت إلى التصويت لصالح جاك شيراك في ٢٠٠٢م رغم المشاكل القضائية التي كان يعاني منها».

ولم يعلن الرئيس الفرنسي الحالي عما إذا كان سيشترك هو أيضاً في الانتخابات الرئاسية المقبلة فيخوض غمار الانتخابات التمهيدية التي سينظمها حزب «التحالف الجميل» في يناير المقبل.

هذا هو الكتاب الثاني الذي يصدر حول هولاند منذ شهر آب/أغسطس الماضي بعد كتاب آخر في شكل مقابلة عنوانها «محادثات خاصة مع الرئيس» بتوقيع الصحفيين كريم رسول وأندريه أنطونان أندري.



#### خاص: باريس - فرنسا

صدر في منتصف شهر الحرم/ أكتوبر إصدار جديد في العاصمة الفرنسية باريس يحمل عنوان: Il suppose que le président ne dit pas cela وترجمتها: (من المفروض أن لا يقول الرئيس هذا). وهو عبارة عن مقابلة مطوّلة مع الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند أكد فيها أن المرأة المحجبة هي (ماريان) المستقبل في فرنسا، أي رمز الجمهورية الفرنسية. واعترف الرئيس الفرنسي بوجود مشكل مع الإسلام في فرنسا كونه «يسعى إلى فرض نفسه كدين داخل الجمهورية».

وتطرق فرانسوا هولاند إلى عدد من القضايا السياسية والاجتماعية المهمة التي ميزت عهده في الرئاسة المنتهية، حيث حاوره الصحفيان في صحيفة لوموند فابريس لوم وجيرار دافي اللذان التقيا بالرئيس الفرنسي (٦١) مرة منذ دخوله قصر الإليزيه في أبريل ٢٠١٢م.

ومن بين الملفات الساخنة التي تطرق إليها هولاند، ملف (الهوية الوطنية) الذي وظفه نيكولا ساركوزي كثيراً خلال عهده الرئاسة لكسب أصوات مناظلي اليمين المتطرف الفرنسي. وأوضح هولاند أن العلمانية هي القيمة المشتركة التي تجمع بين كل الفرنسيين مهما كان موقعهم الجغرافي. ووصف الصحفيان قول الرئيس بأن المرأة المتحجبة اليوم هي (ماريان) رمز الجمهورية الفرنسية في المستقبل، أنها عبارة قوية لم يستخدمها من قبل.

وقال الرئيس الفرنسي: «إذا منحناها (يقصد المرأة المتحجبة) الظروف الملائمة لكي تعيش هنيئة وسعيدة، فستتألق في حياتها المهنية والاجتماعية. ومن ثمّ ستتنزع الحجاب لتصبح فرنسية قادرة على تحقيق أحلامها رغم إيمانها الديني». مؤكداً «أن الهدف الذي يجب تحقيقه، هو أن تختار هذه المرأة المحجبة الحرية عوضاً عن الخضوع وأن تشعر بأن لديها مكانتها كاملة في المجتمع الفرنسي».

وكرر الرئيس الفرنسي أن موضوع «الهوية» هو من اختراع الرئيس السابق نيكولا ساركوزي. وأن اليمين الفرنسي أصبح يوظفه لأسباب سياسية داخلية، مشيراً إلى أن «اليسار



## جهود المدارس الدينية لتثقيف المجتمع الباكستاني

محمد كامران بن محمد خورشيد

أعده للنشر: د. محمد تاج العروسي

لا يخفى على المتأمل في حاضر الأمة وماضيها أن الهند كانت على صلة تجارية مع جزيرة العرب منذ عصور قديمة، فلما جاء الإسلام، وانبثق نوره من غار حراء، بدأت تنتشر أضواؤه في أقطار العالم عامة، وشبه القارة الهندية على وجه الخصوص. بدأ فجر العهد الإسلامي الزاهر من بلاد السند بواسطة المجاهد القائد المسلم محمد بن قاسم، ومن هناك انتشر في المنطقة برمتها على أيدي الطلائع المؤمنة من التجار والعلماء الريانيين، ثم جاء دور الخلفاء والملوك المسلمين، وتم فتح البلاد، وازداد الإسلام قوة ونفوذاً، ودخل الناس في دين الله أفواجا لما فيه من مبادئ سامية وأصول شامخة.

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» آل عمران ١١٠، ولا شك أن خيرية هذه الأمة: أهم وجوها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعندما استقلت باكستان بقيت معظم تلك المدارس والجامعات في الهند، ولم يكن في باكستان إلا عدد قليل منها. مع أنها أول دولة نشأت باسم الإسلام، ونظراً للحاجة الماسة إلى عدد كبير من هذه المدارس، فقد قام العلماء في باكستان بواجبهم تجاه إنشاء المدارس، والمساجد، والمراكز العلمية في هذه الدولة الفتية حتى بلغ عددها اليوم أكثر من ثلاث عشرة ألف مدرسة.

فقد تم إنشاء المدارس والجامعات والمراكز الدينية في معظم المدن الباكستانية مثل: (كراچی، و حیدرآباد، و سکھر، و میٹرو خاص، و لاکھنؤ، و راولپنڈی و مانسہرہ، و کشمیر الحرہ، و فیصل آباد، و دیرہ اسماعیل خان، و کوہاٹ، و مردان، و جلجت،

واستمرت سلطة المسلمين في الهند حوالي ثمانية قرون متواصلة، وخلال هذه الفترة الطويلة أقام المسلمون مناراً عالياً للثقافة، وخلفوا تراثاً علمياً ازدهرت به المكتبة الإسلامية، ثم قضى الاستعمار البريطاني على تلك السلطة، ولكن الله تعالى قيض المدارس الدينية لأجل بقاء العلم، والدين الإسلامي، فاحتفظ الناس بدينهم وحضارتهم بعد فقد سلطتهم، وكل من له إلمام بحاضر المسلمين في شبه القارة الهندية يعرف جيداً أن للمدارس الدينية دوراً كبيراً في إبقاء المسلمين على دينهم وعقيدتهم، وهي أول حركة لخدمة الإسلام والمسلمين في هذه القارة بعد الاستعمار الإنجليزي، حيث قامت بجهود جبارة، ومساع مشكورة في خدمة المجتمع، ونشر الحضارة، والثقافة الإسلامية، وقمع البدع، ونشر السنة، وذلك امتثالاً لقول الله تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ



وَأَسْكِرْتُو. وَيُسْتَرَال. وَمُسْتُونَك. وَبَشِين. وَمَكْرَان. وَبَنْجُور. وَكَوْنْتِه وَقَلَات وَبَشَاوَر. وَمُلْتَان) وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَدَن.

ولا تزال هذه المدارس، والجامعات، والمراكز تقوم بالواجب المنوط بها خدمة للإسلام والمسلمين. وهدفها الأساسي تَنْشُرُ تعاليم القرآن والسنة باعتبارهما مصدرين أساسيين للشرعية الإسلامية. وتَرْسِخُ العقيدة والقيم والأخلاق الإسلامية في المجتمع. وتَنْمِية الوعي الإسلامي. وإِبْرَارُ الصُّورة المشرقة للثقافة والحضارة الإسلامية في أنحاء العالم. وإعداد الدعاة والعلماء الراسخين في العلم حتى يستطيعوا القيام بأداء دورهم تجاه الأمة الإسلامية وجاه خدمة أوطانهم العزيزة. وتبليغ رسالة الإسلام الخالدة إلى جميع أنحاء المعمورة. وشرح مبادئه وتعاليمه. ودحض الشبهات والتحديات للتيارات والأفكار الهدامة. والدِّفَاعُ عن القضايا الإسلامية بما يتفق مع مصالح المسلمين وأمالهم. وحل مشكلاتهم بالحكمة والموعظة الحسنة. ونشر اللغة العربية باعتبارها لغة الرسالة السماوية. ومبلغة الوحي الإلهي. ومعجزته الخالدة. وإعجازه الأزلي. وناشرة الدين الحنيف. وسفيرته إلى العالمين. وإيجاد القدرات العلمية في شتى المجالات للعلوم الإسلامية والعصرية. وإعداد جيل جديد يستطيع التوفيق بين القديم الصالح والجديد النافع. والجمع بين التربية الإسلامية الروحية والعقلية. وبين المقتضيات العصرية. ويصلح للقيادة والنهوض بالأمة الإسلامية بأسلوب يلائم الشرع الحنيف والعصر الحديث. وتوثيق روابط الإخوة الإسلامية. وتعزيز التعاون مع جميع المسلمين. وتقديم الخدمات لهم في مختلف المجالات «التربوية، والتعليمية، والثقافية، والاجتماعية، والصحية».

وتقوم المدارس بهذه المهمة العظيمة والشاقة في نفس الوقت رغبة منها في خدمة الإسلام. ورفع رايته خفاقة عالية. وجعل المجتمع الباكستاني يدين بالإسلام ظاهراً وباطناً في ظل دولة إسلامية على الوجه الصحيح. أي تكون دولة إسلامية بتوجهاتها. ونظامها. وأحكامها. وقوانينها. وسياساتها. واقتصادها. وكيانها.

ولا تقبل هذه المدارس أيَّ معونة من الدولة رغم أنها تعرض عليها ذلك من حين لآخر تقديرًا للجهود التي تقوم بها. بل تكنفي بالدعم السخي الذي تلقاه من أصحاب الخير من التجار المحليين، والمزارعين. وهذا سر بقائها وصمودها أمام كل المحاولات التي بذلت من الجهات المختلفة للتدخل فيها بحجة تطويرها. وإدخال التعديلات على مناهجها.

وتتلخص خدماتها في الآتي :

١. تقديم التعليم المجاني لأبناء المسلمين من داخل باكستان وخارجها في جميع المراحل الدراسية. مع توفير المقررات الدراسية لكل مرحلة. والسكن الملائم. والغذاء الكافي للطلاب الغرباء والمسافرين. فالطالب يتفرغ للدراسة دون أن يشغل باله بتدبير أمور الحياة. ومتطلبات الدراسة. فهذه الأمور متيسرة بفضل الله في باكستان. ولا تشكو أي مدرسة من

نقص في شيء من ذلك.

٢. تدريس الطالب العلوم الشرعية «الفقه، والحديث، والتفسير، والتوحيد، وعلم الكلام، واللغة العربية، والفرائض، وأصول الفقه». إضافة إلى قسم خاص لحلقة القرآن ودراسة أحكامه وعلومه. وهذا هو السر في كثرة الحفاظ والحفاظات في باكستان. حيث يفوق العدد ثمانية عشر مليون حافظ وحافظة في أرجاء البلد كله. ففي معظم بيوت باكستان يوجد حافظ لكتاب الله تعالى أو حافظة. وهناك تنافس كبير بين البنين والبنات في حفظ القرآن الكريم في الأونة الأخيرة. حيث أنشئت معاهد دينية في معظم المدن لتعليم البنات العلوم الشرعية. وتحفيظهن كتاب الله تعالى. وهذا يعتبر من خصائص باكستان: فلا يوجد هذا العدد الهائل من المدارس الدينية. وحفظ كتاب الله تعالى في أي بلد من بلدان العالم الإسلامي. وهذا هو السر في أن الشعب الباكستاني لديه عاطفة دينية منقطعة النظير. وعنده استعداد تام لأن يدفع النفس والنفيس في سبيل خدمة هذا الدين ورفع رايته. والدفاع عنه. وحتى عن الدول الإسلامية. وخاصة المملكة العربية السعودية التي قيضها الله لخدمة الحرمين الشريفين وضيوف الرحمن «حجاج بيت الله الحرام».

٣. الإرشاد الديني: تقدم المدارس الدينية خدمة الإرشاد الديني للمجتمع الباكستاني. وتتولى هذه المهمة دار الإفتاء التي تعتبر جزءاً أساسياً للمدارس الكبيرة. ويكون عمل هذه الشعبة إصدار الفتاوى حسب الاستفتاءات التي ترد إلى المدرسة من قبل شرائح مختلفة في المجتمع. ويتم إصدار الفتوى تحت رعاية أحد المشايخ المتمكنين في الفقه. ويعاونه مجموعة من الباحثين الشباب. ثم تطبع هذه الفتاوى وتنشر لتعم الفائدة. وقد وصل عدد الفتاوى الصادرة من قبل بعض دور الإفتاء التابعة للمدارس الكبيرة إلى عشرات الآلاف في مختلف المجالات. وقد جدد بعض دور الإفتاء التابعة لهذه المدارس تصدر فتاوى حول قضايا عصرية شائكة.

٤. إعداد البحوث ونشر المؤلفات: تنشئ بعض المدارس قسمًا خاصًا يسمى «دار التصنيف». تكون مهمته إعداد البحوث ونشرها. أو طبع الكتب التي يؤلفها الأساتذة والمدرسون في تلك المدارس. مثل تكملة فتح الملهم، ومعارف السنن، وأوجز المسالك.

٥. إصدار المجلات: تصدر المدارس الدينية مجلات تسهم في نشر الوعي الديني للناس. وتحمل أفكار الجهة التي تنتمي إليها إلى جانب اعتنائها بالقضايا الفقهية. والبحوث العلمية الأخرى. وتُسْتَغَل في بعض الأحيان للرد على المخالفين. والطعن فيهم. والتشنيع عليهم. وتُصَدِرُ بعض هذه المدارس عدَّة مجلات. وبلغات مختلفة مثل: الأردية، والإنجليزية، والعربية. وأشهر هذه المجلات: «مجلة البلاغ». وتصدر باللغة العربية. والأردية. والإنجليزية. و«مجلة الفاروق». وتصدر باللغة العربية. والأردية. و«مجلة بينات». وتصدر باللغة العربية. والأردية.

٥. توفير الأئمة والخطباء للمساجد: تخرج هذه المدارس الأئمة

اختلاف بينها في قضايا عديدة مما يكون له تأثير على علاقات هذه المدارس فيما بينها من جهة. وبينها وبين المجتمع من جهة أخرى.

ومن نماذج المدارس والمعاهد الإسلامية في باكستان:

١. المدرسة الفاروقية: أسست المدرسة في ٢٣/يناير/١٩٦٧م (١٣٨٧هـ) في منطقة شاه فيصل تاون بمدينة كراتشي. قام بإنشائها العلامة المحدث الشهير سليم الله خان. ونخبة من العلماء الكبار. مثل العلامة محمد يوسف البنوري. مؤسس جامعة العلوم الإسلامية كراتشي. وعضو مجمع البحوث الإسلامية القاهرة. وعضو رابطة العالم الإسلامي. وعضو الجمع العلمي العربي في سورية. ورئيس وفاق المدارس العربية باكستان. وله عدة مؤلفات منها: معارف السنن شرح سنن الترمذي. بغية الأرب في مسائل القبلة والمحارب. والمفتي العام لجمهورية باكستان الإسلامية سابقاً الشيخ محمد شفيع. مؤسس جامعة دار العلوم كراتشي. والقائد في حريك استقلال باكستان. والمفتي بدار العلوم الديوبند. وله عدة مؤلفات: منها معارف القرآن في تفسير القرآن الكريم. وجواهر الفقه. وإمداد المفتي. والإحكام في أحكام التصاوير وأحكام القرآن.

وهناك معهد ملحق بالجامعة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها باعتبار أنها لغة القرآن الكريم. وترجمان السنة المطهرة. ومفتاح الثقافة الإسلامية. وحاملة الرسالة الإسلامية. وجامعة الأمة الإسلامية. ويرأس هذا القسم الشيخ ولي خان المظفر. المشرف العام على مجمع اللغة العربية بباكستان. وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية (مقرها الرياض). وعضو الهيئة العالمية للعلماء المسلمين برابطة العالم الإسلامي.

٢. دار العلوم الرحمانية: تأسست في مدينة مردان عام ١٩٦٣م. ويرأسها الشيخ ثناء الله المفتي الداعية. وكانت تهتم بكتاب الله حفظاً وتلاوة وتفسيراً. وبالحدِيث معرفة وفهماً. وتمييزاً لصحيحه من سقيميه. وحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق. وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتباع. كما تعنى بالدعوة الشاملة لكل شيء في العقائد والعبادات والسلوك والأخلاق وفي كل أمور الحياة وبيان ما يحتاج إليه كل مسلم.

وقد ذكرت هاتان المؤسستان التعليميتان على سبيل المثال. وهناك العشرات من الجامعات المشابهة لهما في معظم المدن والقرى. وخاصة في كراتشي. وبشاور. ولاهور. وفيصل آباد. وغيرها من المدن الكبرى. وهناك محدثون وفقهاء. ومفسرون يدرسون في هذه المدارس. ولديهم مؤلفات في معظم العلوم الشرعية باللغة العربية والأردية وغيرها من اللغات. طبعت في داخل باكستان وخارجها. وانتشرت في معظم بلدان العالم الإسلامي. ونسأل الله تعالى أن يديم هذه النعمة على باكستان. وأن يجعلنا من الشاكرين. والمقدرين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والخطباء. وترسلهم لعشرات الآلاف من المساجد الموجودة في باكستان. وقد يسافر بعضهم إلى الخارج وخاصة الدول الأوروبية. والآسيوية. والإفريقية للقيام بواجب الإمامة والخطابة في المراكز الإسلامية التابعة للجاليات المسلمة في الدول الغربية. والأقلية المسلمة في الدول غير الإسلامية. والمسلمين الذين يحتاجون إلى الدعاة والخطباء في بعض الدول الإفريقية. والآسيوية.

٦. تخريج المعلمين. والمدرسين. وتوزيعهم على المدارس الدينية والمعاهد الحكومية. فقد يصل عدد المدارس في باكستان إلى ثلاثة عشر ألف مدرسة. وهذا العدد الكبير يحتاج إلى مدرسين جدد باستمرار. وهناك المدارس الحكومية والكليات العصرية التابعة للجامعات الحكومية تحتاج أيضاً إلى مدرسين للدراسات الإسلامية. واللغة العربية.

٧. تربية الجيل على القناعة والصبر وتحمل المشاق. فجميع المنتسبين إلى هذه المدارس. طلاباً ومعلمين يعتبرون الدراسة والتدريس عبادة. وهذا يعطي للمدرسة في نظرهم مكانة خاصة. ومن هنا تجد لديهم نوعاً من الاطمئنان والقناعة. فلا تجد عند حدوث بعض المشاكل الفنية أو الإدارية في المدرسة إضرابات ولا احتجاجات كما تجدها في المدارس والجامعات العصرية.

٨. تربية الطلاب سلوكياً: يتميز الطلاب الدارسون في هذه المدارس بالتأدب مع مشايخهم. وتكون علاقتهم بهم مثل علاقة المريد مع مرشده الروحي: لأنهم يُربون على ذلك. ويؤدي هذا الاحترام المطلق في بعض الأحيان إلى طاعة الطلاب مشايخهم طاعةً تكاد تكون عمياء في كل ما يقولون.

ومع هذه الجهود التي تقوم بها المدارس الدينية فإن هناك انتقادات توجه إليها. وتتلخص في التالي:

أ. الاهتمام ببعض القضايا وإهمال غيرها: يهتم الدارسون والمعلمون في المدارس الدينية ببعض القضايا الخلافية التي يكون الخلاف في الغالب خلافاً في الترجيح. فإنك إذا دخلت قاعة الدرس ستجد مدرس الحديث أو الفقه يستغرق في البحث عن ترجيح رأي. أو قول في مسألة فرعية. ولا يعطي مثل هذا الجهد للمسائل التي تتعلق بالمعاملات المالية والعلاقات الخارجية. والآداب وعلاقة الشعوب بالحكام. بل تراه يمر عليها مرور الكرام ولا يتوقف عندها إطلاقاً. وقس على ذلك دراسة بقية المواد من الفقه والتفسير وغيرها.

ب. التربية على الجمود والمحافظه على القديم: إن من أهم خصائص المدارس الدينية تربية المرتبطين بها على المحافظة على التقليد في كل شيء بدءاً من الزي في اللباس. ومروراً بالأفكار والمناهج. وانتهاءً بالسلوك العام في الحياة. فقلما تجد الطلاب يقبلون شيئاً مغايراً لما سمعوه من مشايخهم وأساتذتهم في كل من ذلك.

ج. الخلافات المذهبية: تتأثر المدارس الدينية بالتيارات الفكرية المختلفة. فهناك مدارس تابعة للديوبندية. وأخرى للجماعات الإسلامية. إضافة إلى المدارس التابعة للسلفية. وهناك



ترجمة معاني

# القرآن الكريم

إلى اللغة البرتغالية

بقلم: الشيخ أحمد صالح محايري

البرازيل



الحمد لله الذي قال في كتابه العزيز: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». وأفضل الصلاة وأتم السلام على رسول الله محمد خاتم النبيين والمرسلين والمبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

ما كنت أود إشغال مساحة في هذه المجلة القيمة لأثير فيها مسألة في علوم القرآن الكريم ورد فيها اختلاف قديما وحديثا، والإجماع منعقد عليها ويعرفها أغلب طلاب العلم، لولا مشادة وقعت بشأنها بين اثنين من طلاب العلم من المعتنقين للإسلام في هذه البلاد. أحدهما مشارك في إدارة بعض المساجد والثاني موظف إداري بإحدى الشركات التجارية. ولقد اشتهد الخلاف بينهما لأن كلا منهما كان يصّر على رأيه ويحسب أن مخالفه في ضلال مبين. ومفاد المسألة اختلف فيها: وجود عدة ترجمات لمعاني القرآن الكريم باللغة البرتغالية. فعند ترجمة إحدى الآيات من المنشابهات التي تختمل معنيين أخذ المترجم الأول بأحد الأقوال الواردة في تفسيرها بينما أخذ المترجم الآخر القول الثاني لنفس الآية دون الإشارة إلى المعنى الثاني. وفي إحدى حلقات التعليم، اختلف المذكوران في تفسيرهما لهذه الآية التي تضمنت قولين متباينين. إذ أخذ كل منهما يخطئ الآخر ويستشهد بنص الترجمة التي عنده... فلو اطلع أحدهما أو كلاهما بلغته البرازيلية على جانب من علوم القرآن الكريم لما وقع

بينهما هذا الإشكال. ولما رأيت أنا ضرورة إعداد هذا المقال في هذا الموضوع المفروغ منه عند العلماء وليس فيه من جديد. إلا أن الجديد فيه عندنا. أننا أدركنا بأن هذه المسألة قد تشكل أيضا على مسلمين آخرين في مناطق وبلاد أخرى فلزم التنبيه إليها عملا بالقاعدة الأصولية التي تقول: «لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة» إذ يتعين على الدعاة وأئمة المساجد ضرورة العناية بنقل علوم الإسلام للجميع كلّ بلغته وخاصة في علوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. ويجب أن لا يقتصر الدعاة في تعليمهم للشباب على بيان أحكام العبادة وفنائل الأعمال دون غيرها من العلوم الأخرى. كعلوم القرآن الكريم وعلوم الأصول ومصطلح الحديث فلو وفقنا الله تعالى لأداء هذا المنهج الدعوي المتكامل نكون بذلك قد زدنا معتنق الإسلام بعلوم الإسلام ولو مختصرة دون كتمان جانب منها ليتفقه هو في الدين وليتابع بنفسه تطبيق شعائره بمنهجه الصحيح الذي يجابه به كل من يحاول تشكيكه في دينه أو مساومته عليه. علما بأن شرائح معتنقي ومعتنقات الإسلام تتزايد في أغلب المدن البرازيلية مما يتعين على الدعاة إزاءها مضاعفة الجهد في الاهتمام بها خاصة وأن أغلب المعتنقين للإسلام هم من خريجي المعاهد والجامعات ولهم تأثيرهم ومكانتهم

الاجتماعية في المنطقة فلنغرس فيهم ما أمرنا الله به في قوله جل وعلا: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة». وبذلك لا يقتصر عمل الإمام والداعية على الأمور الإدارية في الجامع والجمعية بل الإعداد لجيل جديد يعرف الحلال والحرام بكل أشكاله.

وسبب الإشكال المذكور أنه اختلط على بعض طلاب العلم المعاصرين كيفية التعامل مع القرآن الكريم حسب شرع الله وكيفية التعامل مع ترجمة معاني القرآن الكريم إن كانت تأخذ حكم القرآن. فنذكرهم بالحكم المجمع عليه في هذه المسألة ولا خلاف فيه:

١ - إن ترجمة معاني القرآن الكريم بأية لغة ليست نصًّا من القرآن الكريم ولا تأخذ حكمه وليست حجة لأنها ليست من قول الله تعالى بل من قول كاتبها وقد يكون كاتب الترجمة مستشرقاً أو غير مسلم. حتى ولو كان مسلماً فلا يخرج عن كونه أنه من البشر.

٢ - إن ترجمة معاني القرآن الكريم ليست تفسيراً للقرآن الكريم بل محاولة من كاتبها لتقريب معاني الآيات الكريمة بلغة القوم.

٣ - إن ترجمة معاني القرآن لأية لغة لا يتعبد بتلاوتها، بل التعبد يكون بتلاوة القرآن الكريم نفسه، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» رواه مسلم. وللحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار. ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». وأخرج الترمذي وغيره عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف. ولام حرف. وميم حرف».

ويكون التعبد أيضاً بتلاوة الأذكار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم كالتهليل والتكبير والاستغفار والدعاء.

٤ - أما قراءة ما جاء في ترجمة معاني القرآن الكريم وتدبرها والاهتمام بها ومتابعتها فهذا من باب طلب العلم الذي يثاب سالكه إليه ليتعرف من خلال الترجمة على شيء من معاني القرآن الكريم وعظمته لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يبتيغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة». خاصة وأن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

٥ - يجوز للجنب والحائض لمس ترجمة معاني القرآن وحملها وتلاوتها على عكس القرآن الكريم الذي لا يجوز فيه ذلك البتة تعظيماً لحرمة عند الله تعالى.

٦ - إن قصد المسلم في ترجمته لمعاني القرآن الكريم وجه الله تعالى لتقريب معاني القرآن الكريم للناس بلغتهم بمنتهى الأمانة فهو عمل خير. وله أجره عند الله لقوله تعالى: «ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» سورة النور ٣٨. ولقوله سبحانه: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» ٧/٩٩.

وكلما تضرع المترجم بعلوم القرآن الكريم وأصول التفسير ومعرفة الناسخ والمنسوخ، كانت ترجمته أقرب للصواب وأسهل لقبول المسلمين لها. إذ ليس كل من تكلم اللغة العربية يعتبر مؤهلاً ليفهم المراد من معاني القرآن الكريم. ذلك لأن تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه منضبط بمنهج رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان يبين لأصحابه ما أشكل عليهم في القرآن الكريم. ولكي يعمل المترجم بهذا الشرط وقبل أن يبدأ بترجمة الآية كلمة كلمة عليه أن يعود إلى تفسيرها الصحيح الوارد عن السلف الصالح ويطلع على ما جاء في أصول التفسير الوارد تفصيلها في علوم القرآن الكريم.

وأثناء جمعي وتحقيقي لتفسير سفيان بن عيينة نقلت ما قاله في أصول التفسير وشروط المفسر التي تنسحب على شروط المترجم لمعاني القرآن الكريم في عصرنا الحاضر، علماً بأن جمال الأسلوب واختيار المفردات السهلة يزيد الترجمة وضوحاً ويشد إليها القراء وخاصة عندما يختار المترجم أوضح التراكيب وأقربها لأداء المعنى فيزداد عمله قبولاً وأسلوبه جمالاً.

لقد تُرجم في البرازيل وطُبع أكثر من مائة كتاب من تأليف كبراء علماء عالمنا الإسلامي السابقين والمعاصرين وهم يتناولون فيها شتى المواضيع التي تهم الجالية المسلمة ومعتنقي الإسلام. وهي تهم مستقبل الدعوة إلى الله في البرازيل.. فأجراً الآن لاقتراح هنا على المؤسسات الإسلامية الخيرية العالمية أن تترجم وتطبع أحد الكتب الجاهزة المختصرة في علوم القرآن لتوزع في البرازيل، أو تكلف هي أحد الدعاة من المؤهلين والمهتمين ليكتب شيئاً مختصراً في هذا الصدد لترجمته وطباعته



وتوزيعه في البرازيل لحساب أهل الخير. وبذلك يكون مادة معتمدة وموثوقة بيدهم وبيد الأجيال القادمة في هذا البلد.

إن كان أمر التفسير والترجمة لمعاني القرآن الكريم مشروطًا بكل ما ذكرناه، فكيف يقبل المسلمون بترجمات لمعاني القرآن الكريم غير سليمة المعنى لعدم خضوعها لهذه القواعد؟ وهل من الأمانة العلمية أن يقبل أحدٌ بترجمة لمعاني القرآن محرفة في عقيدتها إما جهلا من المترجم بإحدى اللغتين وإما افتراء منه على الإسلام والمسلمين؟ وأذكر هنا حادثة حصلت في البرازيل عام ١٩٧٥م، إذ وصل من خارج البرازيل ترجمة باللغة البرتغالية لمعاني القرآن الكريم وبأعداد كبيرة. فالمترجم كان لا يعرف شيئًا من اللغة العربية لأنه أجنبي مستشرق أخذ إحدى الترجمات الإنجليزية أو الإسبانية لمعاني القرآن الكريم مما كتبه أمثاله المستشرقون فترجمها للبرتغالية بمعنى أنه ما ترجم معاني القرآن بل ترجم النص الذي ترجمه غيره لمعاني القرآن وبذلك نقل هو أخطاء الآخرين وتبنى أغلاطهم وافتراءاتهم ووضعها في كتابه على أنها ترجمة للنص القرآني الذي جاء من عند الله وبذلك جاءت ترجمته هذه حافلة بالأخطاء المتعمدة وغير المتعمدة بل جاءت مطابقة لمنهج المشككين الذين يكتبون غمراً ولمزاً عن الإسلام ثم يبيعون عملهم للمسلمين على أنه إنجاز ثقافي تقتضيه حاجة المسلمين لعدم وجود مثله في أيديهم.. في تلك الفترة وقفتُ بشدة مع زملائي المشايخ لإبعاد هذه الترجمة عن المسلمين وعدم إدخالها للمساجد وهكذا رفضها المسلمون في البرازيل من خلال جمعياتهم الإسلامية التي رفعت شكوى بشأنها للمسؤولين البرازيليين، إذ كانت فعلاً لا تمثل معاني كتاب الله تعالى.. ورغم كل هذه الإجراءات اكتشفنا بعد أشهر أن نسخها تباع في المكتبات تجارياً.

حتى أوائل الستينيات من القرن الماضي لم يكن في البرازيل ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة البرتغالية بل وُجِدَتْ محاولات بترجمة بعض سوره لحاجة المسلمين إليها في التعليم والمناسبات... إلى أن أصدر الأستاذ منصور شليطا ترجمة معاني القرآن الكريم ١٩٥٨م وهو من أدباء اللغة العربية ومفكري الكنيسة اللبنانية والمقرب من الجالية العربية في البرازيل. وقد تولى عملاً ديبلوماسيًا رفيعاً في إحدى السفارات العربية... صدرت ترجمته لمعاني القرآن الكريم وتعددت طبعاتها ولا تزال

تباع تجارياً في المكتبات بالبرازيل حتى اليوم. وقد اتخذتها المعاهد والجامعات البرازيلية مرجعاً لها في أبحاثها عن الإسلام والمسلمين. وفي عام ١٩٦١م صدر في مدينة بيلو روزونتي ترجمة لمعاني القرآن الكريم بعنوان (القرآن المجيد) من عمل الدكتور نجيب موداد من أصل عربي اعتمد فيها على العبارات والمفردات الأدبية.

وبقي مسلمو البرازيل يفتشون عن ترجمة موثقة من عمل المسلمين شرطاً في قبولها؛ لما نقلنا عن الطبري قوله: «اعلم أن من شروط المفسر صحة الاعتقاد بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم...» اهـ .

وما سبق بيانه فهمة الجالية المسلمة عن طريق مشايخها أنه يتعين على المترجم لمعاني القرآن الكريم أن يلتزم بما جاء عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالح في تفسيرهم للقرآن الكريم، فالمترجم مسؤول ومكلف ولا يقل أهمية عن المفسر نفسه، إذ كلاهما ينقلان للناس معاني كتاب الله. ونحن الدعاة في البرازيل المتخصصين بالدراسات القرآنية نرى أن المطمئن لدى الجالية الإسلامية أنها اعتمدت ترجمة معاني القرآن الكريم للأستاذ سمير الحايك عضو الجالية الإسلامية خريج جامعة سان باولو الضليع باللغتين، إذ أصدر ترجمته لمعاني القرآن الكريم عام ١٩٧٢م. وتولت بعض المؤسسات الخيرية الإسلامية العالمية إعادة طبعاتها كلما نفذت نسخها حتى وصل عدد طبعاتها لنحو عشرين طبعة. وأثبتوا فيها المقدمة التي أعدتها في علوم القرآن الكريم. كما أن الدكتور حلمي نصر أستاذ الدراسات العربية في جامعة سان باولو لما كتب ترجمته لمعاني القرآن الكريم تبنتها رابطة العالم الإسلامي عام ١٩٨٩م. ثم تعددت طباعتها في مطابع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بمقدمة كتبها معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف المشرف العام على هذا المجمع الذي يوزع دورياً آلافاً من نسخ ترجمته معاني القرآن الكريم هذه على البلاد الناطقة بالبرتغالية: موزمبيق وغينيا بيساو وأنغولا والبرتغال والبرازيل... فالله تعالى يضاعف الأجر والثواب لخدام الحرمين الشريفين أيده الله وللقائمين على المجمع لهذا الإنجاز الدعوي والعلمي الذي أسهم في تقدم الدعوة في تلك البلاد.

# منهج القرآن الكريم في تربية الجانب العقلي للإنسان المسلم

بقلم د. حياة عبدالعزيز محمد نياز

جامعة أم القرى - مكة

العلم ويعلمه». المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٥٩٤، ٥٩٥

ويتضح منهج القرآن الكريم في تربية الجانب العقلي للإنسان في الآتي :

أولاً : منهج القرآن الكريم في المحافظة على العقل :  
«العقل : هو الميزة المفضلة للإنسان على غيره، وهو قيمة عليا، وعظيمة في كيان الإنسان وحقيقته، ومصلحة كلية تجب المحافظة عليها. الأصول التربوية في الإسلام، مرسى اللبان ص . ٣٥

لذا فإن منهج القرآن الكريم في المحافظة على العقل يقوم على الآتي :

• المحافظة على صحة عقل الإنسان ووقايته من جميع الأمراض العقلية، وذلك بالبعد عن كافة الأسباب التي تؤدي إلى المرض العقلي كالمسكرات والخدرات والمفترات، فقد اتفقت الشرائع السماوية على وجوب المحافظة على العقل ما يزيله، أو يضعفه، أو يمرضه، وذلك بتحريم المسكرات بكل أنواعها. يقول القرطبي - رحمه الله - « إن السكر حرام في كل شريعة؛ لأن الشرائع مصالح العباد لا مفاسدهم، وأصل المصالح العقل. كما أن أصل المفاسد ذهابه، فيجب المنع من كل ما يذهبه أو يشوشه».

الجامع لأحكام القرآن، ٣، ١٨٦ / ١ .  
قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجُسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ )  
المائدة : ٩٠-٩١

يقول الغزالي رحمه الله « حرم الشرع شرب الخمر؛ لأنه يزيل العقل، وبقاء العقل مقصود للشرع؛ لأنه آلة الفهم، وحامل الأمانة، ومحل الخطاب والتكليف، فالعقل ملاك أمور الدين والدنيا فبقاؤه مقصود، وتقويته مفسدة ». شفاء العليل.

اهتم القرآن الكريم بالعقل باعتباره من أهم مكونات الإنسان، فبالعقل فضله الله، وميزه به عن سائر الحيوانات التي تشاركه في بقية المزايا. وبالعقل صار الإنسان خليفة الله في أرضه . وسخر له ما في البر والبحر، وكلفه بعبادته وطاعته، كما أن للعقل أهمية كبرى في حياة الإنسان من حيث إنه « قوة مدركة في الإنسان خلقها الله : ليكون مسؤولاً عن أعماله ». ميزان العمل للغزالي، ص ٣٣١

فهو مناط التكليف والمسؤولية الإنسانية في الدين، وفي الدنيا والآخرة، وهو أحد الطرق الرئيسية التي يتلقى بها الإنسان العلم والمعرفة، وبه يقوم الإنسان بمختلف العمليات العقلية، ويميز بين الخير والشر، والحسن والقبح، والفضيلة والرذيلة، والصواب والخطأ « فهو آلة العلم وميزانه الذي يعرف به صحيحه من سقيم، وراحه من مرجوحه، والمرآة التي يعرف بها الحسن من القبح ». فلسفة التربية الإسلامية في القرآن للغزالي، ص ١٥٥  
كما أن العقل أساس الدين، فقبول الدين لا يكون دون تفكير ودراسة، واقتناع ومنهج يستند على الدليل والبرهان، قال تعالى : ( لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ) سورة البقرة: ٢٥٦، ( وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ) الكهف : ٢٩

وقد أشارت آيات الذكر الحكيم في ثناياها، وفي خواتمها إلى أهمية «العقل» وتؤكد تارة باسمه الصريح وتارة بمرادفاته، وتارة بوظائفه كقوله تعالى : ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) ( أَفَلَا تَبْصُرُونَ ) ( أَفَلَا يَنْظُرُونَ ) ( أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ) ( يتذكرون )، كما ورد فعل «عقل» في القرآن الكريم في نحو (٤٩) موضعاً من كتاب الله، وبصيغ مختلفة (يعقلون، تعقلون، نعقل، يعقلها، عقلا)، ولذلك دلالتة التربوية المهمة، فليست الخلايا المكونة للعقل وأجزائه هي ما يهم القرآن، وإنما يأتي تركيز القرآن واهتمامه على « الأمر المميز للإنسان عن سائر المخلوقات، أي على العمليات العقلية العليا التي يقوم بها الإنسان فيعقل، ويفكر، ويتدبر، ويتعلم

ويقول الألوسي رحمه الله : « لو لم يكن فيها سوى إزالة العقل والخروج عن حد الاستقامة لكفى . فإنه إذا اختل حصلت الخباثت بأسرها » . تفسير الألوسي . ص ٩٩

وقد ثبت علمياً لدى الأطباء وعلماء الصحة أن للمسكرات تأثيراً سلبياً على الجهاز العصبي المركزي وهو يعد من المواد المثبطة للنشاط . ويؤدي إلى خفض الكفاءة الذهنية والعضلية . كما أنه يؤدي إلى الجنون .

كما حرم القرآن الميسر ( القمار ) لما له من مخاطر مؤكدة على أعصاب الإنسان . حيث يوقعه في القلق والاضطراب . كما يجعل لاعبه يستسلم للمصادفات . ولا يقوم بأي جهد عقلي يعود بالنفع على الفرد والمجتمع . قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) المائدة : ٩٠-٩١ .

ومن أسباب الأمراض العقلية الفواحش ( كالزنا واللواط ) التي تؤدي إلى إصابة الإنسان ببعض الأمراض التي لها تأثير على العقل مثل السفلس أو الزهري : حيث تنتقل جراثيم هذه الأمراض إلى المخ فتؤدي إلى تلف الأعصاب الذي قد يؤدي إلى زهاب العقل وإصابة الإنسان بالجنون : لذا فقد حرم القرآن الكريم الزنا في قوله تعالى : ( وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ) الإسراء : ٣٢ .

ونفر من الزنا بأسلوب تربوي مؤثر . فقال سبحانه : ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) النور : ٣ .

ومن أسباب الأمراض العقلية أيضاً سوء التغذية . سواءً كان ذلك بتناول الأغذية الضارة أو المحرمة . أو بعدم تناول الأغذية اللازمة والضرورية لبناء الجسم . فيؤدي ذلك إلى نقص الفيتامينات التي يحتاجها الجسم كفيتامين ( ب ١ ) الذي يؤدي نقصه إلى نقص الأنسجة في الجسم . وبخاصة ضعف الأعصاب الذي قد يؤدي إلى بعض الاضطرابات العقلية والعصبية كعدم التركيز والنسيان . والقلق . والكآبة . كما يؤدي إلى إصابة الإنسان بمرض ( البلاغرا ) الذي يؤدي في مرحلة متقدمة إلى إصابة الجملة العصبية فتنتهي إلى الاختلال والجنون أو الشلل . التغذية والوقاية من الأمراض . حسن نعمه ص ٦٤ .

لذا فإن منهج القرآن الكريم في تربية الجانب العقلي للإنسان أن يتناول ما يحتاج إليه من الطعام ويترك ما يضر منها . قال تعالى : ( وَجِلَّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرَمَ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ ) سورة الأعراف : ١٥٧ .

ومن أسباب ضعف العقل . فقدان الإيمان بالمبادئ الروحية

الثابتة : لذا فإن منهج القرآن الكريم دعوة العقل إلى القيام بوظائفه المنوطة به من تعقل وتفكير وتدبر وتفهم قضايا العقيدة الصحيحة التي يعرضها القرآن الكريم والمرتبطة بآيات الآفاق والأنفس . حتى يقوده إلى الإيمان والعمل بشعائر الله التعبدية فيطمئن قلبه وعقله .

كما أن حرمان الإنسان من العطف . وفقدان الحب والمساندة العاطفية من حبيب أو عزيز . سبب من أسباب إصابة الإنسان ببعض الأمراض العقلية كالهستيريا والذي من أعراضه فقدان الذاكرة الكامل . أو فقدان الجزئي . أو مرض الإحباط . والذي من أعراضه بطء التفكير وصعوبة التركيز والتردد . ويؤكد الأطباء أن « ٧٥٪ من المصابين بالأمراض العقلية يصابون بسبب اختلال التوازن العاطفي » . تأملات في سلوك الإنسان . الكسيس كارل ص ٤١

ونظراً لأهمية الحب والعاطفة في المحافظة على عقل الإنسان من كافة الأمراض السابقة . فقد أشاد القرآن الكريم بالحببة والتآلف بين الناس قال تعالى : ( وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ) آل عمران : ١٠٣ . وبالمودة والمحبة بين الزوجين كذلك . قال تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) الروم : ٢١ . وقال تعالى في حب الأبناء : ( الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) الكهف : ٤٦ .

وقد أشاد القرآن الكريم إلى الحب الأبوي أثناء ذكره لقصة بعض الأنبياء والرسل كقصة نوح مع ابنه وقصة يعقوب مع ابنه يوسف .

ومن أسباب ضعف العقل ومرضه أيضاً الإرهاق في العمل الذي يؤدي إلى مرض الأعصاب وضعف الذاكرة والتركيز . كما أن ترك العمل تماماً يؤدي إلى تعطيل العقل من القيام بوظائفه من إدراك . وفهم وتفكير . و تحليل . وتركيب ومقارنة . يقول الكسيس كارل : « فإن المجهود شرط ضروري لنمو الأنسجة والعقل . ومن ثم صار الأطفال والشباب الذين نشأوا على الجهل بالجهد . بلغوا درجة من الضعف لا تؤهلهم للاحتفاظ بحضارة أسلافهم . ومن شأن الذكاء لدى مثل هؤلاء الأفراد أن يظل بالرغم من ثقافتهم هشاً سطحيّاً عاجزاً عن أي عمل عظيم . وذلك لأن الذكاء يتطلب أساساً عضويّاً جيد النوع حتى يكون منسجماً قوياً » . الكسيس كارل . تأملات في سلوك الإنسان ص ٤١ .

لذا فإن منهج القرآن الكريم يأمر بالتوسط والاعتدال في الأمور منها : التوسط والاعتدال في العمل لقوله تعالى : ( لَا يَكُلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) سورة البقرة : ٢٨٦ . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن لربك عليك حقاً . وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً . فأعط كل ذي حق حقه » .



٢ - المحافظة على عقل الإنسان من التفكير في الأمور الغيبية التي اختص الله عز وجل بعلمه ولم يظهر على غيبه أحداً. قال تعالى: ( قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ) النحل : ٦٥ .

ومن الأمور الغيبية التي نهى القرآن الكريم العقل الإنساني عن التفكير فيها الذات الإلهية، لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله » وفي رواية : « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله » البيهقي ١٣٦ .

ومن الأمور الغيبية التي نهى القرآن العقل عن التفكير فيها الروح، وهي ما اختص الله عز وجل بعلمه، فلا يعرف حقيقتها إلا الله تعالى. ولم يُطلع عليه أحداً من خلقه. وقد حسم القرآن الكريم الحديث عنها بقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) الإسراء: ٨٥ .

من هذا تبين لنا أن « المنهج الذي سار عليه القرآن - وهو المنهج الأقوم - أن يجيب الناس عما هم في حاجة إليه، وما يستطيع إدراكهم البشري بلوغه ومعرفته، فلا يبدد الطاقة العقلية التي وهبها الله لهم فيما لا ينتج ولا يثمر. وفي غير مجالها الذي تملك وسائله وخيط به وليس في هذا حجر على العقل البشري أن يعمل. ولكن فيه توجيهاً لهذا العقل أن يعمل في حدوده وفي مجاله الذي يدركه، فلا جدوى من الخبط في التيه، ومن إنفاق الطاقة فيما لا يملك العقل إدراكه، لأنه لا يملك وسائل إدراكه» سيد قطب . في ظلال القرآن ، م ٤ ، ص ٢٢٤٩

كما نهى القرآن الكريم العقل عن التفكير في ذكر القرون الأولى في حياة البشرية؛ لأنها من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله . قال تعالى على لسان موسى - عليه السلام - رداً على سؤال فرعون عن القرون الأولى : ( قَالَ قَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى . قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ) طه: ٥١- ٥٢ . « بهذا أحال موسى ذلك الغيب البعيد في الزمان الخافي عن العيان إلى ربه الذي لا يفوت علمه شيئاً، ولا ينسى شيئاً، فهو الذي يعلم شأن تلك القرون كلها في ماضيها وفي مستقبلها، والغيب لله والتصرف في شأن البشر لله».

«خبر عقل الإنسان من ظلمات الجهل والخرافة والأوهام؛ ليكون العقل حراً طليقاً يسبح في ملكوت السماوات والأرض: في عالم الشاهد أو عالم الغيب بإرشاد الوحي وهدايته»، ويكون ذلك بالعلم؛ لأن العلم هو الذي يصقل العقول وينميها، ويمرنها على سرعة الفهم والإدراك، ويربط الأسباب بالمسببات والعلل بالعلولات، واستخلاص النتائج من المقدمات. وبه يتغذى العقل بالمعلومات في مجالات متعددة، فتتوسع

بذلك دائرة الخبرة لدى الإنسان. ويتمكن بذلك من التكيف مع المستجدات المعاصرة في الحياة .

ولأهمية العلم في المحافظة على عقل الإنسان من الجهل والخرافة، أمر الله عز وجل في كتابه العزيز « بإعمال الفكر، وتحصيل العلم، وأثنى الله فيه على العلماء المفكرين والعقلاء الباحثين الذي يفكرون في السماوات والأرض وينظرون إلى ما فيهما من أشياء محكمة الصنع ويعلمون ما يجري عليه الحوادث من نظام دقيق، فيؤمنون بالله الواحد الذي خلق الكون ونظم الوجود». قال تعالى: ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَلَكِ الَّتِي جَرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَنَى فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) آل عمران : ١٦٤ .

كما جاء التأكيد على أهمية العلم والتعلم في كتاب الله في معرض امتنان الله على الإنسان بخلقه وتعليمه القرآن والبيان . قال تعالى: ( الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ) الرحمن : ١- ٤ . ولعل هذا الجمع بين ذكر خلق الإنسان وتعليمه، وذكر تعليمه قبل ذكر خلقه وبعده، خير دليل على أن الإنسان لا شأن له ولا قيمة بغير العلم، ولا غنى له عنه . وقال تعالى: ( لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) آل عمران : ١٦٤ . فالله عز وجل يمن على عباده بأن بعث فيهم رسولاً لتحقيق مهمته التي تنحصر في ميدان العلم ومعطياته من تلاوة الآيات وتزكية النفوس، وتعليم الكتاب والحكمة، وكل هذا له أثره في بيان المكانة الرفيعة التي أولاها القرآن للعلم والتعلم .

وينبثق مفهوم التعلم في القرآن الكريم من المفهوم العام الذي يحدد حدوث أفعال الإنسان، فإذا اتفقت ممارسات الفرد أو الجماعة مع مشيئة الله . فتح الله عليه باب التعلم .

ماجد الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ص. ٥٦ .

قال تعالى: ( وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ ) سورة البقرة : ٢٨٢ . فهذا وعد منه تعالى بأن يجعل للمتقي نورا في قلبه يفهم به ما يلقي إليه ويفرق بين الحق والباطل. يشهد لهذا قوله تعالى: ( إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ) الأنفال : ٢٩ . « أما إذا تعارضت ممارسات الإنسان أفراداً وجماعات مع ما يقره الله سبحانه فإن التعلم يسير في اتجاه مخالف للصواب ويأتي بآثار سلبية قال تعالى: ( وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ) \*\*\* ) وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ) الأنعام : ٢٥ . أي جعلنا على قلوبهم أغطية وأغلفة لئلا

يفقهوا كلام الله عز وجل . وجعلنا على أسماعهم صمماً فتعطل عن وظيفتها في إدراك الحق والهدى والانتفاع بها . ولتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية من عملية التعلم فإن منهج القرآن الكريم في تربية العقل اهتم بوسيلتهما الأساسيتين وهما : القراءة والكتابة « اللتان ترتبطان ببعضهما ارتباطاً طردياً لازماً فكلما تحسنت إحدهما وامت تحسنت الأخرى وامت ثمارها في التحصيل العلمي والمعرفي». قال تعالى : ( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ) (العلق: ١-٥) . فالتعليم بالقلم الذي جاء في هذه السورة إنما يعني تعلم عملية الكتابة أساساً . وبتعلم القراءة والكتابة معاً وما يرتبط بهما من نمو عقلي ونضج فكري يهدي الله تعالى عقول عباده إلى تعلم ما لم يكونوا يعلمون . المرجع السابق

وبتتبع المنهج الذي اتبعه القرآن الكريم في تعليم وتربية المؤمنين وغرس المبادئ والقيم الإسلامية في نفوسهم نجد أن هذا المنهج يقوم على مبادئ مهمة لا بد من مراعاتها لحدوث عملية التعلم . منها :

أ - توفر الدافع لدى المتعلم للحصول على العلم . ولإشباع هذا الدافع زود الله عز وجل الإنسان بأدوات التعلم من سماع وبصر وعقل يعقل بها حقيقة الوجود . وحقيقة نفسه . فتنمو بذلك استعداداته وقدراته العقلية . قال تعالى : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) النحل: ٧٨ .

ب - ومنها إثارة انتباه المتعلم . قال تعالى : ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ) ق: ٣٧ . فالآية تثير انتباه المتعلم ليعمل عقله . ويصغي سماعه لفهم العبر والمواعظ مما حل بالأمم السابقة من العذاب نتيجة إعراضها عن الحق . قال تعالى : ( إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ) المزمل: ٦ . ففي الآية إثارة لانتباه المتعلم إلى أن الصلاة بعد النوم أقرب إلى تحصيل مقصود القرآن الكريم . وهذا ما يساعد على فهم القرآن وتدبر معانيه لتواظف القلب واللسان على القرآن . وقال تعالى : ( وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) الأعراف: ٢٠٤ . فالآية تثير انتباه المتعلم إلى وجوب الاستماع والإصغاء إلى آيات الذكر الحكيم عند سماعه : لتفهم آياته . وللاتعاط بمواعظه والوصول إلى رحمة الله بسبب تفهمه وتدبر معانيه والعمل بما جاء فيه .

وما يثير انتباه المتعلم ضرب الأمثال في القرآن الكريم والقصص القرآني فهما يقومان بتجسيد المعاني المجردة بتشبيهها بأمور وأشياء واقعية محسوسة مما يجعلها أقرب إلى الإدراك والفهم . وما يثير الانتباه أيضاً استخدام القسم فاحة لبعض السور

المكية كقوله تعالى : ( لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ) القيامة : ١-٢ « فإن البدء به جذب لانتباه السامع لوقوع القسم على سماعه في شيء من الرهبة . فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسي لتلقي ما يقال خصوصاً وإن ما يقال مبني على قسم . والقسم شيء يهول . وفي هذه الحال يكون الإنسان أشد تأثراً بما يسمع مما لو فاتحته بما تريد من طريق الجدل والنقاش .»

ج - التدرج في التعلم . قال تعالى (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ) الإسراء: ١٠٦ . فقد جاء هذا القرآن ليربي أمة . ويقيم لها نظاماً . فتحمله هذه الأمة إلى مشارق الأرض ومغاربها . وتعلم به البشرية هذا النظام وفق المنهج الكامل المتكامل . ومن ثم فقد جاء هذا القرآن مفرقاً وفق الحاجات الواقعية لتلك الأمة . ووفق الملابس التي صاحبت فترة التربية الأولى . والتربية تتم في الزمن الطويل . وبالتجربة العملية في الزمن الطويل . جاء ليكون منهجاً عملياً يتحقق جزءاً جزءاً في مرحلة الإعداد . لا فقهاً نظرياً ولا فكرة جريدية تعرض للقراءة والاستماع الذهني ! وتلك حكمة نزوله متفرقاً . لا كتاباً كاملاً منذ اللحظة الأولى .

ومن تلك المبادئ مراعاة الفروق الفردية في الاستعدادات والقدرات النفسية . والبدنية والعقلية . وفي المهارات والميول والاهتمامات والاجتهادات . وقد أشارت آيات الذكر الحكيم إلى وجود هذه الفروق . من ذلك قوله تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْقَافٍ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ) الروم: ٢٤ . وعلى ذلك فإن الإنسان المسلم مطالب بالتعلم على حسب قدرته واستطاعته إذ ( لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ) سورة البقرة: ٢٢٠ .

د - استمرارية التعلم . قال تعالى على لسان نبيه الكريم: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً طه: ١١٤) . يقول الطبري رحمه الله في تفسيره: « يقول تعالى ذكره : وقل يا محمد : رب زدني علماً إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم». وقال الألويسي رحمه الله في تفسيره حول هذه الآية «واستدل بالآية على فضل العلم حيث أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بطلب زيادته . وذكر بعضهم أنه ما أمر عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة في شيء إلا العلم ... وما هذا إلا لزيادة فضل العلم . وفضله أظهر من أن يذكر » . الألويسي . روح المعاني . ١٦ / ٢٦٨ .

هـ - ممارسة التعليم وتطبيقه في واقع الحياة قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا) النساء: ٦٦ . أي أن تطبيق الإنسان لما يتعلمه من الأوامر والنواهي الربانية يكون سبباً في حصول الإنسان على خيري الدنيا والآخرة . والعون من الله على الثبات على طريق الحق . والثواب العظيم في الآخرة .



# مواقف دعوية

## مع الداعية الشيخ نعمة الله (٣/٢)

بقلم: الدكتور صالح مهدي السامرائي

رئيس المركز الإسلامي في اليابان

مازلت كما أنا، أفتش عن الحقيقة، ومازلت أشعر بأن قلبي يميل لشيء لم أصل إليه حتى الآن. فما هذا الشيء يا ترى؟  
وبعدها وفي أحد الأيام وبالتحديد ٢٣ مايو ١٩٩٧م التقيت برجل في طوكيو على رصيف أحد محطات القطر. بل أقول هو الذي عثر عليّ. لقد كان هذا الرجل هو إمام المركز الإسلامي في اليابان الشيخ نعمة الله. وفي الحال شعرت بهيبة الرجل. وحينما طلب مني أن أقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كانت كلمة طبيعية بالنسبة لي. وقد انتابني شعور داخلي عميق ذكرني بمقولة (إذا كان التلميذ في غاية الاستعداد للتلقي فإن الأقدار تبعث المعلم). إلا أنني ما كنت أتصور أن يحدث مثل هذا الأمر بهذه الصورة غير المتوقعة.  
وبعد ثلاثة أيام وفي ٢٦ مايو وبعد أن فكرت جلياً في مثل هذا اللقاء اتصلت بالمركز الإسلامي وطلبت لقاء الشيخ نعمة الله وكنت مترددة فيما إذا كان لا يزال يتذكرني. فكان كذلك والحمد لله. ودعاني للقدوم إلى المركز فاندفعت في الحال بجاذبية غريبة.  
رأيت الشيخ مع إخوان له فكان لقاءً ساراً. لقد كنت دائماً مؤمنة بالله الواحد الأحد. وأن جميع ما حدثني به الشيخ عن الإسلام كان معقولاً بالنسبة لي. بعد تفكير عميق وهو يعبث بلحيته الطويلة البيضاء اختار لي اسماً إسلامياً (روضة). وسألته عما يعني ذلك فأجابني: (قطعة صغيرة من الجنة). وسألته بعد ذلك لماذا أعطيتني هذا الاسم قال: لأنك آمنت بالإسلام من أول لقاء.

ملاحظة:

١ - هذا ما سطرته الأخت روضة بيدها باللغة الإنجليزية واكتشف المقالة ابني قتيبة وقمت بترجمتها إلى العربية (صالح السامرائي).  
٢ - قرأ المقالة أحد العرب المقيمين في اليابان وعلق عليها بما يلي:  
(إن هناك العديد من الناس لا يزالون يبحثون عن الصراط المستقيم وهم بحاجة لأحد من الناس يهديهم السبيل).  
إن كل مسلم مسؤول أن يبحث عن مثل هؤلاء الأشخاص ويقدم لهم العون كما فعل الإمام نعمة الله. وحينما يتم البحث من قبل الطرفين فإن فرص الوصول إلى الصراط المستقيم تزداد مرتين بمشيئة الله.  
وإننا يجب أن نشجع المسلمين الجدد أن ينشروا تجاربهم من أجل مساعدة أولئك الذين يعيشون ظروفاً مشابهة لتلك الظروف التي مرت بها الأخت روضة.

كتب الدكتور صالح السامرائي رئيس المركز الإسلامي في اليابان مقالات عن شيخ تركي يُسمى نعمة الله. له أسلوب مميز في الدعوة إلى الله. ويقول: إن الله تعالى قد فتح على يديه قلوب كثير من الناس. فاعتنقوا الإسلام. ومنهم من صار من كبار الدعاة إلى الله. في هذه الحلقة الثانية نقدم قصة الأخت روضة: وهي تحدثنا عن رحلتها إلى الإسلام. وعن مشاعرها وهي تبحث عن الدين الحق...  
وُلدت في إنجلترا ودخلت إحدى مدارس لندن وهذه المدرسة لا تزال قائمة حتى الآن. حيث كانت في ذلك الوقت في قاعة لإحدى الكنائس. لقد كان موضوع اهتمامي الأول هو الكتاب المقدس. فقد قرأت الإنجيل مرات ومرات. ومنذ التاسعة من عمري كنت أتبادل الرسائل مع جدتي لأبي (وكانت تقيم في نيويورك) وأضمن رسائلها مقاطع من الإنجيل. أما موضوع اهتمامي الثاني فهو اللغة الإنجليزية: التعبير والقواعد، والآداب. وكنت محبة للكتابة. قديمًا اليابان بعمر مبكر. وبلغت سن الرشد في هذا البلد. لقد كانت عندي المشاعر الدينية منذ طفولتي. إلا أنه لم يكن في إمكاني تحديد نوع هذه المشاعر. وكل الذي كنت أحسسه هو مشاعر تعتمل داخل النفس.

حينما بلغت العشرين من عمري بدأت أبحث لبعض الأشخاص عن هذه المشاعر التي بدأت تشد أكثر فأكثر مع الأيام. إلا أنهم كانوا يتجاهلونها إن لم يستهجنوها كأن يتساءلوا: «هل تفكرين حقاً أن في إمكانك العثور على أجوبة لتساؤلاتك عن طريق الدين؟». هذه التعليقات كانت تؤثر سلباً على نفسي لأنني كنت في غاية الحساسية منها. وأخيراً بدأت أحتفظ بهذه المشاعر في داخل نفسي رغم أنني لم أتوقف عن البحث عن الحقيقة في مختلف الاتجاهات ومن دون معرفة سبب ما كنت أفعله. إنني مثلاً كنت أتلفع بغطاء أسود على رأسي. وعلمت فيما بعد بأنه حجاب.  
لقد كان هذا عملاً غريباً قمت به من تلقاء نفسي وكررت عدة مرات. إنني حينما كنت ألبس الحجاب كان بالنسبة لي أمراً طبيعياً ومريحاً وعملاً طيباً كما هو بالنسبة لي الآن بعد إسلامي. وكنت في ذلك الوقت أبلغ السادسة عشرة من عمري.

وبعد ذلك وفي الحادي عشر من نوفمبر عام ١٩٨٩ كنت في زيارة إلى جزر (هواي). وبالتحديد جزيرة كاواي. ذات الطبيعة النقية والجميلة حيث كنت أتمشى فيها. وبعد أن عدت إلى غرفتي هزت مشاعري هذه المناظر الخلابة ودفعني لأن أخذ القلم وأسطر هذه الكلمات:



# الفتنة الطائفية

## من المسؤول عن إحياؤها؟

**الطائفية البغيضة كانت منذ القدم السبب في إضعاف المسلمين**  
**التعصب الطائفي سبب كل القلاقل والحروب التي تشهدها المنطقة**

### إعداد: توفيق نصر الله

من أكبر المخاطر التي تستهدف الأمة الإسلامية وعقيدتها: الحرب الطائفية بكل أشكالها السياسية والإعلامية والعسكرية. وتشهد السنوات الأخيرة تصعيداً في إشعال الفتن الطائفية في أكثر من دولة، وتبدو أصابع النظام الإيراني الطائفي واضحة للعيان، إذ يتورط في التحريض الطائفي أداة لمكاسب سياسية وطموحات توسعية.. فإلى أي مدى يتحمل النظام الإيراني مسؤولية إشعال الفتن الطائفية في المنطقة، وما الهدف من ذلك؟ وإلى أي مدى يؤثر هذا التحريض في إشعال الفتن بين المسلمين؟ وما أبعاد التهديد الطائفي الماثل اليوم؟

- د. فوزية أبو خالد: أكاديمية وكاتبة مهتمة بالشأن السياسي.  
 - د. عادل مرداد: سفير المملكة العربية السعودية في تركيا.  
 - إحسان صالح طيب: الأمين العام لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية سابقاً.  
 - د. صالح بن سعد اللحيدان: المستشار القضائي الخاص، والمستشار العلمي للجمعية العالمية للصحة النفسية في دول الخليج، والشرق الأوسط.  
 - عبدالله الشريف: باحث إسلامي ومفكر اقتصادي  
 - سميرة بيطار: مهتمة بالشأن العام وقضايا منطقة الشرق الأوسط..

عدد من الأكاديميين والختصين يجيبون عن هذه التساؤلات لتسليط الضوء على مدى خطورة المد الطائفي الذي يهدد بتفتيت وحدة المسلمين وإضعافهم واستنزاف طاقاتهم...  
**المشاركون:**  
 - د. صادق يحيى فاضل: أستاذ العلوم السياسية بجامعة الملك عبد العزيز وعضو مجلس الشورى.  
 - د. أحمد محمد بناني: أستاذ العقيدة والفرق والأديان بجامعة أم القرى سابقاً.  
 - د. عبد الله بن سعود القبايع: أستاذ العلوم السياسية بجامعة الملك سعود سابقاً.

بداية يقول أ.د. صدقة يحيى فاضل: إن المذهبية هي من الأخطار التي تهدد وحدة الدين الإسلامي الحنيف ، وتؤدي إلى انقسام متبعيه وأنصاره وأتباعه إلى شيع متناحرة في الغالب ومتناقضة مع بعضها ومتحاربة في أكثر الأحيان. والدين الإسلامي ابتلي منذ فجره بهذا الداء وهو داء المذهبية الإقصائية؛ وأعني بالمذهبية الإقصائية خمسه بعض أتباع أو نسبة من أتباع الدين لمذهب أو لتوجه ديني معين يعتبرونه هو الأصح وما عداه خطأ جَب مقاطعة ومحاکمته. هذا الشعور يؤدي إلى وجود أحزاب وشيع متناحرة داخل الدين نفسه؛ وهذا ما حصل للأسف بالنسبة لديننا الإسلامي من قبل البعض. وقد نزل الدين الحنيف في صيغة واضحة ومحددة ومعروفة منبعاً للقيم الإيجابية من الاعتدال والسلام وإرادة الخير والرحمة للعالمين . هذا الدين في الواقع شُوّه بإضافات من هنا وهناك ألصقت به والإسلام منها براء. وهذا أدى إلى نشوء مذاهب عدة في إطار الدين الإسلامي الحنيف.

ثمة مذاهب باطله استحدثت في الإسلام إذا أردنا أن نحكم الشريعة الإسلامية الصحيحة. وأصبحت خنجراً في ظهر الإسلام. بالخروج عن إجماع غالبية المسلمين وتقديس بعض الأشخاص وهذا أمر محرم في الدين الإسلامي وتسفيه الصحابة رضوان الله عليهم. إضافة إلى أن فيها كثيراً من الشوائب التي لا يقبلها عقل ولا تقبلها الشريعة الإسلامية الصحيحة والسليمة؛ من ذلك على سبيل المثال أن هناك إماماً غائباً وما إلى ذلك. وهذا انعكس في الواقع إلى وجود ما يسمى بالمرشد. والمرشد في إيران الآن عبارة عن ديكتاتور يوجه البلاد والملايين من الناس إلى التوجه الذي يروق له ويتناسب مع مصالحه وأهوائه. وهذا أمر غير مقبول لا منطقاً ولا شرعاً ولا تقبله الحياة المعاصرة ولا العقل. هناك من يغالي في التمزيق وشق الصف والظهور بمظهر المتفرد. وأيضاً ربما تكون هناك نوايا غير سليمة وهي أن تكون هناك شيع متناحرة في داخل الدين. ما يؤثر في نهاية الأمر على الدين نفسه غالباً ما يحصل من قبل هذه المذاهب ككل بصفة عامة والمذهب الصفوي بصفة خاصة. ولا أقول الشيعي لأن المذهب الصفوي يتخذ من المذهب الشيعي غطاءً لكن هذا الغطاء عندما ينكشف سنجده أنه يحتوي على توجه قومي عنصري غير مقبول وغير منسجم مع التعاليم الإسلامية الحقّة. وجوهر الإسلام الذي يدعو إلى المساواة والحرية والعدالة وما إلى ذلك.

#### إثارة الفتنة بين المذاهب

المسلمون تعايشوا بكل مذاهبهم الفقهية والعقدية إلى حد كبير ولم تقم بينهم حروب أو مشاكل . لكن في الوقت الحالي نجد أن هذا المذهب أو ذاك يُستخدم لتفريق المسلمين وضرب وحدتهم وتماسكهم وبالتالي محاربة الدين الإسلامي.

فأنت عندما تفرق أتباع أي دين فأنت تخارب الدين نفسه وهذا ما حصل من قبل أعداء الأمة العربية والإسلامية الذين دقوا أسفينا بين المذاهب الإسلامية الكبرى بهدف إشاعة الفرقة والتناحر بين المسلمين وضرب الدين الإسلامي في مقتل والإضرار بهذا الدين الذي أنزل ليبقى والله سيحفظه إلى يوم القيامة بإذن الله. لكن ما نراه اليوم في العصر الحاضر من هذا التمزق خاصة بين المذاهب الرئيسية المتناحرة التي بدأت تخارب بعضها بعضاً وبالتالي تحقيق الأهداف التي وضعها الأعداء عندما اتبعوا التفرقة النفسية وسيلة لضرب الإسلام من داخله. واليوم نحن نشاهد كثيراً من التناحر والحرب فيما بين المذاهب الرئيسية في كثير من الدول العربية والإسلامية؛ أنصار هذا المذهب يحاربون أنصار ذلك المذهب وهكذا. الأمر الذي شُوّه الدين الإسلامي والدين الإسلامي منه براء وهو أصلاً لا يقره لأنه يعتبر الجميع أمة واحدة ويأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ويأمرنا بالتوحد وأن الدين عند الله واحد.

إن النظام السياسي الإيراني هو الذي يتبنى المذهب الصفوي ولا أقول المذهب الشيعي لأن المذهب الصفوي يغطي نفسه بالمذهب الشيعي. ولكن في داخله توجهاً قومياً فارسياً عنصرياً الهدف منه هو العمل على تسفيد الجنس الإيراني على بقية المسلمين وفرض هذه الاعتقادات التي يعتقدونها ويسمونونها بالمذهب الشيعي ولكن شيعيتهم ليست شيعية مقبولة وإنما هي شيعية عنصرية فارسية تريد الهيمنة على الدين الإسلامي وربما تريد ضرب الدين الإسلامي من داخله عبر محاولة فرض هذا المذهب على أكبر نسبة ممكنة من المسلمين. السياسة التوسعية العدوانية الإيرانية التي بدأت منذ نحو ثلاثة عقود تهدف إلى إقامة تكتل صفوي يمتد من أفغانستان شرقاً حتى مشارف البحر الأبيض المتوسط غرباً وهذا إن تم لا سمح الله سيكون على حساب الأمة الإسلامية وحساب الغالبية السنية في هذه المنطقة وهم يرون عبر إقامة هذا التكتل فرض المذهب الصفوي على أكبر عدد ممكن من المسلمين؛ وهذا في الواقع هدف لا يمكن قبوله؛ ولذلك نشأ هذا الصراع بين إيران من جهة والذين يرفضون الهيمنة الصفوية من جهة أخرى. والمذاهب استخدمت هنا كوسيلة في هذه الحرب التي في الواقع أشعلها الأعداء من خارج الأمة العربية والإسلامية ومن داخل هذه الأمة.

#### فرق تسد

ويؤكد د. أحمد محمد بناني أن الله عز وجل حذر في كتابه العزيز من الفتن الطائفية فقال: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)..... إلخ الآية). ولقد عمل أعداء الإسلام منذ الوقت القديم على إثارة الفتن الطائفية بين المسلمين لتضعف شوكتهم. وقد انتهجوا مبدأ (فرق تسد) أي كلما فرقت بين

وزعزعة الأمن والاستقرار في الدول العربية والإسلامية لتحقيق بعض المطالب السياسية السيئة التي تدعمها بشكل خاص دولة إيران الإرهابية. ولا شك أن التهديد الطائفي الذي تشهده المنطقة هو محاولة من هذه المنظمات الإرهابية مجتمعة المدعومة من إيران وبعض الدول المتطرفة الأخرى للضغط على الدول العربية والإسلامية لتقديم تنازلات تهدف في النهاية إلى تحقيق الأطماع الإيرانية في المنطقة. ونحمد الله أن العالم الإسلامي بدأ يحس بمثل هذه الأخطار وأصبح يقف صفاً واحداً من خلال التحالف العربي والإسلامي لقطع الطريق على أعداء الإسلام لأنه لا يمكن السماح بنشر الفوضى والاضطرابات أو الإساءة للإسلام. ويجب على العالم العربي والإسلامي أن يزداد اتحاداً لمواجهة هذه الأخطار التي أصبحت تحقّق بهم من كل حذب وصوب. وسيتمكن إن شاء الله قريباً من القضاء على مثل هذه المنظمات الإرهابية التي تنزعها إيران. وهدف إيران من دعم هذه المنظمات الإرهابية وزعزعة الأمن والاستقرار في العالم العربي والإسلامي هو إنشاء ما يسمى بالإمبراطورية الفارسية التي كانت ولا تزال تهدد العالم العربي والإسلامي الذي لا يدين بتوجهاتها وأفكارها الشيوعية المتطرفة.

#### الطائفية أداة فرقة طوال التاريخ الإسلامي

ومن جانبه يقول د. فايز الشهري إنه وطوال تاريخ الإسلام كانت الطائفية وتفتيت وحدة المسلمين هي أدوات الاستهداف للمجتمع المسلم المجتمع الواحد. والطائفية كانت عبر مراحل تاريخية سياسية معاصرة هي أداة للمستعمر وأداة للقوى الخارجية تحاول من خلالها أن تفتت وحدة المسلمين. والمتتبع لكل مشكلة طائفية حصلت بين فئات المجتمع المسلم في البلد الواحد أو بين بلدان جارة تختلف مع بعضها تجد أن العنصر الخارجي هو الأقوى. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية كان استهداف منطقة الشرق الأوسط والمسلمين بشكل كبير؛ وذلك بإشغال الفتن الطائفية والعرقية لجعل المسلمين يخوضون في هذه القضايا ويتحاربون من أجلها. والعقلاء في كل بلد يحاولون دائماً للملئة هذه المسائل. وقد ظهرت الكثير من المبادرات على مدى السنوات الأربعين والخمسين الماضية وعملت لجان وعقدت اجتماعات لتقريب وجهات النظر ولكن للأسف الشديد كلما ظهرت أزمة سياسية يشعل فتيل الطائفية في كل مكان حتى تبقى المنطقة في حالة قلق وتناحر. إن أبعاد التهديد الطائفي واضحة؛ فهو لم يعد تهديداً ضدّ بلد ما وإنما أصبح التهديد واسعاً، فمثلاً في العراق.

المسلمين استطعت فرض سيادتك عليهم. وللأسف فإن بعض المسلمين لا يتنبهون لذلك ويسبهمون في إضعاف بعضهم بعضاً أمام الأعداء المتربصين بهم. ولقد رأينا في عصرنا الحاضر كيف تكفلت بعض الدول التي ترفع شعار الإسلام بإشغال نار الفتنة الطائفية ودفع الأموال لثياري تلك الفتنة كي يستمروا في غيهم وإفسادهم في الأرض. وأول من اشتهر بذلك دولة إيران التي أخذت على عاتقها وزر كل الأرواح التي أزهقت بسبب الفتن الطائفية في كثير من البلاد العربية والإسلامية كالعراق وسوريا وباكستان والهند ولبنان وغيرها. بل تزعمت إحياء المظلوميات القديمة المزعومة التي جرت بزعمهم قبل ألف وأربعمائة سنة وبطالون بالانتقام لها من أهل هذا العصر الذين لم يحضروها ولا يدّ لهم فيها. وما هذا إلا سعي لشق عصا المسلمين وإضعاف قوّتهم وتفتيت وحدتهم وإسقاط هيبتهم. والمستفيدون من ذلك هم الأعداء المتربصون بالمسلمين. ولقد قال الشاعر العربي: «لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه». ولقد أنشئت منظمات دولية مثل رابطة العالم الإسلامي. ومنظمة المؤتمر الإسلامي وغيرها لجمع كلمة المسلمين والتأكيد على وحدتهم ولكن للأسف لم تقتنع إيران بالتخلي عن التحريض على هذه الفتن وإشغال نارها بين المسلمين. فلا حول ولا قوة إلا بالله. والله نسأل أن يطفئ هذه النار ويدل المسلمين على ما يحفظ عليهم دينهم ووحدتهم وينصرهم على كل من أراد شق عصاهم وإضعاف قوتهم.

#### الطائفية لخدمة حلم الإمبراطورية الفارسية

ويشير د. عبد الله القباع إلى أنه لم يعد خافياً على الجميع ما تقوم به إيران بشكل خاص من دعم لجميع المنظمات الإرهابية والفئات التي تحارب الإسلام. وتهدف إلى تشويه سمعته. ويبدو أن دولة إيران تعمل على تقديم الدعم للمنظمات الإرهابية المعادية للإسلام والمسلمين. ويدل ذلك على أن دولة إيران تهدف إلى زعزعة الأمن والاستقرار ليس في الدول العربية وحسب، وإنما في جميع الدول الإسلامية والدولي الأخرى على مستوى العالم؛ لذا يجب على جميع الدول العربية والإسلامية أن تقف موقفاً موحداً وصفاً واحداً لمواجهة التطرف والسياسات التي تنزعها إيران في المنطقة. أما بالنسبة للإسلام كعقيدة، فلا تستطيع إيران أو غيرها من الدول المتطرفة أن تلحق أي أذى بهذه العقيدة السمحة. فجميع القوى المؤمنة التي تدين بهذه العقيدة سوف تكون قادرة بإذن الله على دحر المنظمات الإرهابية التي تهدف إلى نشر الفوضى والبدع وتشويه صورة الإسلام



حيث يُقتل الإنسان على الهوية وتُصادر البيوت والأحياء والأملak بناءً على الانتماء الطائفي والمذهبي. وجاوز الصراع ذلك إلى تفجير المساجد ودور العبادة للطوائف المختلفة. ثم أتت التنظيمات المتطرفة مثل داعش وغيرها لتزيد من هذه الإشكالات والتعقيدات. وأصبحت تصطف هنا وهناك وظهر في كل فصيل وتيار ومذهب تنظيمات لا تؤمن إلا بالقتل والدمار. وللأسف الشديد أن هذه الطائفية والتنظيمات المتطرفة لا توجه حرايبها إلا لصدور المسلمين. فقد سَلِمَ منها أعداء الإسلام وسلم منها من يتربصون بالإسلام وسلم منها من ينهب خيرات المسلمين ولم يسلم منها المسلمون خاصة في الدول التي للأسف الشديد ضربت فيها الطائفية والعرقية بشكل كبير. كما يحدث في العراق واليمن وسوريا ولبنان. حيث إن التأثير الطائفي هو الواضح على الخريطة السياسية.

إن غالب شعوب المنطقة لم تكن ترى أن الطائفية مهدد اجتماعي كبير إلا منذ ظهور ما يسمى بتصدير الثورة التي نصت في مادة من مواد الدستور الإيراني تغليب المذهب الاثني عشري وتصدير الثورة. وبالتالي ألبت هذه الثورة المجتمعات على بعضها البعض ودعمت في كل دولة عربية خاصة دول الخليج هذا التناحر الطائفي. وشكلت فصائل وقطعان ما يسمى بحزب الله في معظم الدول العربية. وكان لهم اجتماعات سنوية منذ سنوات الثورة الأولى في طهران لتنسيق المواقف؛ ولذلك فإن إيران هي المسؤول رقم واحد عن نشر الطائفية في المنطقة. وإيران هي نفسها الخاسر الأكبر من موضوع الطائفية؛ فقد خسرت عمقها الإسلامي وأصبحت تتمحور حول مذهب. وللأسف الشديد حتى هذا المذهب حُدد به أناس كثيرون فهي تساعد الأرمن المسيحيين على الأذربيجانيين الشيعة الذين هم في نفس المذهب لأهداف سياسية. وهي أيضاً تساعد فصيلاً فلسطينياً سنياً ضد فصيل آخر رغم عدم اتفاق الأهداف وإنما الغرض هو خدمة انقسام الصف الفلسطيني كما يحصل بينهم الآن. وهي أيضاً في لبنان تصطف مع فصيل استطاع أن ينحر الدولة اللبنانية وجعلها تبقى سنوات بلا رئيس وبلا مجلس نواب منتخب يجدد نفسه تلقائياً؛ وهذا هو فصيلها المؤجر في لبنان يعمل كآلة قتل يومية بنفَس طائفي في سوريا وبالتالي إيران تصدر العبث ولا تصدر الثورة. ويوماً ما سينطبق عليها المثل القائل: «على نفسها جنت براقش»؛ لأن من يستخدم هذا الكيد وهذه الحيل لقتل الناس سيرتد إليه مَكْرُه قريباً. وعلى العقلاء في المذاهب الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية المهمة أن يدركوا أن ما يحصل ليس انتصاراً لمذهب ولا توسيعاً

لمذهب وإنما هو تفتيت لوحدة المسلمين وزيادة التناحر وتعطيل للتنمية وأن الأصابع الإيرانية التي تخدم أهداف قوى عالمية في المنطقة هي لا تستهدف نصرة طائفة دون أخرى وإنما تستهدف الوجود والكيان الإسلامي لجعل الأمة منقسمة على حالها متناحرة وتعطل التنمية وتنهب الثروات.

### الطائفية تشوّه الإسلام

ويرى إحسان صالح طيب أن التجريز وإشعال الفتن الطائفية يشكل خطراً كبيراً جداً على الأمة الإسلامية ويشوّه صورة الإسلام ويوسع شقة الخلاف بين الأمة ويباعد بينها ويؤدي إلى زيادة الفجوة واتساعها بين الطوائف الإسلامية وزرع الضغينة والانشقاق بين المسلمين. التي وصلت إلى حد الاحتراب مثل ما نشاهده اليوم في اليمن والعراق وباكستان وما نسمعه كل يوم من تفجير في مساجد وحسينيات وقتل الأبرياء حتى وصل الأمر إلى تفجير مساجد لدينا وإزهاق أرواح بريئة. أما أبعاده فهي متعددة تؤدي في النهاية إلى مزيد من الفرقة والتناحر. ومن هذه الأبعاد. أبعاداً بشرية إنسانية تتمثل في الحروب والقتل وظهور حالات كثيرة من المعاقين والأرامل والأيتام وتشويه صورة الإسلام. وأبعاداً اقتصادية ومنها تدمير موارد الأمة من زرع وضرع وبتروول وتبديد ثرواتها في شراء الأسلحة الفتاكة التي تخلف الكثير من الدمار والمآسي الإنسانية سواءً على الإنسان أو على البيئة أو الأرض أو خلافه. والمتابع لأحوال الأمة في الفترة الزمنية السابقة لنشوء هذا النظام يدرك كيف كانت الأمة تعيش حالة من الاستقرار والتطور الطبيعي والسلام. ونحن كمكيين كنا نلمس هذا الأمر في الحجاج الإيرانيين الذين يفدون للديار المقدسة لأداء فريضة الحج عندما كانت مستوياتهم الاقتصادية مرتفعة. وكان الحاج الإيراني يتميز بالقوة الشرائية في السوق وكانت أحوالهم مرتفعة أيضاً من الناحية الصحية فكانوا عندما يأتون لأداء فريضة الحج تأتي معهم بعثة الشمس والأسد الصحية التي كانت ترعاهم وكانوا يتميزون برعاية صحية متميزة عن بقية حجاج الدول الأخرى. بينما الآن هم في أسوأ حال حتى إننا رأينا بعضهم أصبح يتسول بسبب تدني أوضاعهم الاقتصادية ويتحمل النظام الإيراني كل ما يحصل من سوء أوضاع لشعبه بسبب تبديد ثرواته على دعم الإرهاب وإذكاء الفتن الطائفية في كل مكان. كما يتحمل هذا النظام كل ما يحصل في العالم الإسلامي من تفريق وإذكاء لنار الفتنة بين الشعوب والحكومات ودعمه للإرهاب

ومساعدته للجبهات والمجموعات المسلحة المختصة بالقتل والتدمير في البلدان الموجودين فيها واحتضانهم للمخربين والعاثين بأمن الدول بهدف تحقيق مخططاتهم الرامية إلى تقويض هذه الأمة وسيطرة الصفويين على العالم الإسلامي.

### الطائفية كانت منذ القدم السبب الرئيس في إضعاف المسلمين

وبسؤالنا للأستاذ عبد الله بن فراج الشريف، عما أوجده الطائفية في واقع المسلمين ماضياً وحاضراً، أجابنا قائلاً: الطائفية منذ القديم، السبب الرئيس في تفتيت جهود المسلمين في كل مكان، والدليل الذي يقطع بأنها شرّاً خير فيه، ما يحدث اليوم على أراضي كثير من البلاد العربية والإسلامية، وفي مقدمتها العراق وسوريا. هذه البلاد أصبحت فيها أناس يدافعون عن عقيدة ومنهج يختلف عن عقيدة ومنهج من يعاشرونهم داخل وطنهم، مع أن المسلمين كانوا في القديم فرقةً وطوائف متعددة، ولكنهم كانوا يتعايشون فيما بينهم، ولهذا قل ما يكون بينهم اقتتال في مثل هذه الظروف، وبرأيي، أن دخول جهات أجنبية في هذه الدول، أسهم كثيراً في تأجيج حدة الطائفية، وإثارة العداء بين مختلف مكونات هذه المجتمعات، الأمر الذي أفضى بها إلى الاقتتال، وهو ما خططت له هذه الدول، لتحقيق أهدافها السياسية التي خططت لها.

### الطائفية سبب كل القلاقل والحروب التي تشهدها المنطقة

عند سؤالنا د. عادل مرداد، عن الدور الذي لعبته الطائفية بكل أشكالها السياسية والإعلامية والعسكرية، كمهددات استهدفت الأمة الإسلامية وعقيدتها، في أكثر من دولة وبين مكونات أكثر من مجتمع، ودور النظام الإيراني في ذلك، أجابنا قائلاً: لا شك أن ما تشهده المنطقة من حروب وقلاقل وعدم استقرار، مرده الأول إلى إيقاظ الفتنة الطائفية بين شعوبها ودولها، وهي بدورها عززت عدم الاستقرار في عديد من دول المنطقة، وهذا بدوره انعكس سلباً على تفكك منظومة الأمن، ما نتج عنه استفحال ظواهر العنف والتطرف والإرهاب بصورة غير مسبوقة في العالم العربي والإسلامي، وأصبحنا نعيش حالة من الاستقطاب الطائفي المقيت، ولعل جذور هذه الفتنة تاريخياً بدأت مع اندلاع الثورة الإيرانية منذ نحو ٣٧ سنة، وتبنيها لبدأ تصدير الثورة بشعاراتٍ جوفاء انطلت على السواد الأعظم من الشعوب، وفي باطنها مخططات مستقبلية خبيثة تهدف إلى تفتيت دول المنطقة والسيطرة على مقدراتها وتكوين قوة إقليمية واحدة تهيمن وتسيطر

على شؤونها كافة السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، بمعنى أن تكون هذه الدول مسحوبة الإرادة ولا تستطيع اتخاذ قراراتها دون الرجوع إلى هذه الدولة، والأمثلة في هذا الخصوص واضحة ومعروفة، ولم تكتف إيران بوضع المخططات وتسخير الماكينات الإعلامية والدعائية الفجة لتكريس الفتنة الطائفية، بل إنها استغلت الظروف التي مرت بها المنطقة منذ حربها مع العراق، والغزو العراقي للكويت وتدخل القوى العالمية، وأحداث ١١ سبتمبر: لتوظيف كل هذه الأحداث لصالحها لتكريس الفتنة الطائفية، محدثة بذلك انقسامات عميقة ليس بين الدول العربية والإسلامية، بل داخل الدين الإسلامي الحنيف، وعبر بث خطابات دعائية تدعو إلى «الثورة المناهضة قوى التكبر والاستعمار» و«الوقوف بجانب الضعفاء والمساكين»، ما عمق من الفرقة والتشردم بين المسلمين، وكأنهم بذلك يحاولون إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بما يتفق مع أهوائهم المشبوهة، ولا يعلمون أن قيامهم بذلك إنما يخدمون أعداء الأمة الإسلامية بتكريس توجهاتهم، للإمعان في تشويه الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه السمحة التي أرادها المولى عز وجل برسالة خاتم رسله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أن تكون رحمة وهدى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ومع كل هذه المحاولات البائسة، فقد أضحت حقائق السياسات الإيرانية العدائية وإعمالها لنهج استشراء الفتن والانقسامات الطائفية، وهم يخالفون النهج الإسلامي القويم الذي يحث على تضامن المسلمين وتعاونهم وتماسكهم وتعاضدهم فيما بينهم؛ لتحقيق مصالحهم ونماء وازدهار شعوبهم.

وفي هذا السياق نرى بأن المملكة العربية السعودية حرص على جمع كلمة المسلمين ومساعدتهم والوقوف إلى جانب قضاياهم، وهذا ليس موضوعاً للنقاش، بل حقيقة ناصعة يعلمها الجميع، فلم تدخر المملكة جهداً إلا وسَّعت إلى بذله وتكثيفه لتحقيق هذه الغاية، وليس استمرار دعوتها لتعزيز التضامن الإسلامي بين دول وشعوب العالم الإسلامي، وعقدتها للمؤتمرات الدولية في هذا الشأن، خافين عن كل منصف ومتابع للشأن الإسلامي العام.

### أجهزة استخبارات تستخدم الصراع الطائفي للسيطرة على الأمة

وعند سؤالنا لسميرة بيطار، عما أوصلتنا إليه الفتنة الطائفية من ضعفٍ وتشردم وتفكك أوهن الإسلام ونخر في جسده على مرّ تاريخ أمتنا، أجابتنا قائلة: من المؤسف القول، إن التحريض وإشعال الفتن الطائفية أوصلنا إلى



لعلهم النفس العام والاستقرائي، أرى أن إيران تعتمد على الإثارة النظرية أولاً، ثم الإثارة العملية التفكيكية ثانياً. ثم على الإستراتيجية الواقعية ثالثاً، وهي الآن تسير نحو هذا المسار. ولذلك أتوجه للعلماء كافة في العالمين العربي والإسلامي وولاة الأمر، بأن يدركوا خطورة هذا المنهج العملي لدى إيران، خاصة وهي الآن تحاول أن تكسب روسيا من جهة، والصين من جهة ثانية، والولايات المتحدة الأمريكية من جهة ثالثة، وهي تمشي مع هذه الدول على شعرة معاوية.

#### التحريض الطائفي معول لهدم المجتمعات ولهدم الدين والقيم

وبسؤالنا للدكتورة فوزية أبوخالد، عن أثر التحريض الطائفي بين أبناء المجتمع الواحد والمجتمعات المتجاورة، والأسس التي ينطلق منها، أجابتنا قائلة: التحريض بكل أنواعه مرفوض، لأنه شكل من أشكال حرائق الشر التي إذا اندلعت شرارةً منها في المجتمعات تحول إلى جحيم ينال من العاصي والطائع معاً، ويتحول معها السلم الاجتماعي إلى حروب أهلية أو إقليمية أو الاثنين معاً. كما هو حاصل في المنطقة، وتاريخياً استخدم التحريض الطائفي من قبل طغاة المنطقة والطامعين فيها على حد سواء، لأنهم جعلوا من الاختلافات المذهبية ذريعة لإيجاد التفرقة والاقتتال بين أبناء المجتمع الواحد والمجتمعات المتجاورة. على أن التحريض الطائفي أو أي نوع من أنواع التحريض على أسس تفاضلية أو تمايزية يرتبط بعلاقة جدلية بواقع التخلف في المجتمعات التي من مظاهرها اللاعقلانية وغياب العدل وانعدام الحرية بحيث يعيد كل منهما إنتاج الآخر أي (بنزين التحريض وهشيم التخلف بكل مشتقاته القابلة للاشتعال). وهذا معول لهدم المجتمعات، ولهدم الإنسان المكلف بعمارة الأرض، ولهدم الأديان والقيم.

ما نحن فيه اليوم، وقد حفل الموروث المذهبي منذ صدر التاريخ، بكثير من الحروب التي أودت بحياة الكثيرين، ودمرت مدناً، وقوضت حضارات، فأصبحت نسياً منسياً، لأن الفتن المذهبية لم تقتصر على الاختلاف بين فكرين مختلفين، بل كانت حتى بين أتباع المذهب الواحد، ولو عدنا إلى صدر التاريخ وبداية ظهور المذاهب، فقد كانت هناك حروب بين المذهبيين الشافعي والحنفي، ففي عام (٤٦٩هـ) جرت مذبحة كبرى بين المذهبيين في بغداد وصلت إلى حد الإخراج من الملة وخرم زواج الشافعي والحنفي، إلا بالقياس إلى الكتابية، في حين حرّم الأحناف الصلاة خلف الشافعية، كانت هذه الأحداث التي أوجبت الصراع وحوادث العنف، إفرازاً طبيعياً للتعصب المقيت، إذن هذه الموروثات المذهبية لم تكن في تعصبها في رأيي تسعى لرفع مكانة الإسلام الدين النقي، بل كان المحرك لها سياسياً سلطوياً يسعى إلى تفكك الأمة، مستغلةً جهل العامة الأتباع لكل مذهب، والتاريخ يحفل بكثير من القصص التي تفشع لها الأبدان، وهذا ما يجري اليوم من احتراق وقتل ووحشية بين أتباع المذاهب، خرقها أجهزة استخبارات عالمية تستغل هذا الإرث، للسيطرة على مقدرات الأمة وأراضيها الملأ بالخيرات، وهناك فيديو مسرّب لرئيس الاستخبارات الأمريكية السابق كان في عام ٢٠٠٦م، تحدث فيه عن سيناريو الأحداث الجارية اليوم في المنطقة العربية، وله فيه مقولة مشهورة، إذ قال: «سوف نصنع لهم إسلاماً يناسبهم».

#### أدعو علماء الأمة للانتباه لخطورة الإستراتيجية الإيرانية

وعند سؤالنا د. صالح بن سعد اللحيدان، من واقع قراءاته المتعمقة في مضامين السياسة الإيرانية تجاه دول المنطقة، عن أكثر ما تعتمد عليه لترويج أهدافها، ومن ثم تحقيقها على أرض الواقع، أجابنا قائلاً: أكثر ما يعتمد عليه النظام الإيراني لترويج الأهداف ومن ثم تحقيقها، الاعتماد على الإثارة، وهذه الإثارة تتأتى عن طريق القوة الإعلامية، فإذا ما وجدت ردة فعل انسحبت، وهذا الانسحاب يكون لجس النبض، ومن ثم معاودة المحاولة مرة ثانية وثالثة ورابعة.. إلخ، فإذا ما وجد هذا النظام، أن علماء المسلمين وولاة الأمر في الدول العربية والإسلامية المراد النيل منها من قبل هذا النظام، يعتمدون على الجدل وعلى النقاش والردود، حينها سيضربون ضربتهم العملية، كما حصل هذا في اليمن بعد الثورة الثانية الجديدة، وبعد الثورة الثالثة الجديدة أيضاً، ومن ثم حصول الانقلاب الثاني والانقلاب الثالث الذي جمع بين حوثي عبد الملك، وعلي عبدالله صالح، ومن خلال قراءتي للتاريخ، والتحليل المنهجي



# حرية الكسب والإنفاق في هذا العصر ومدى موافقتها مع النظام الإسلامي

بقلم: د. محمد تاج العروسي



وقد رأيت بيان مفهوم الحرية في الإسلام وخصوصاً في مجال الكسب والإنفاق، وهو من الموضوعات التي تحدث عنها الفقهاء في باب (البيوع). وكسب الحلال والحرام. وتحدث عنه رجال الاقتصاد تحت عنوان (الاقتصاد الإسلامي). وكلها تدور حول بيان موقف الشريعة فيما يجوز للإنسان أن يمتلكه، وطرق الانتفاع الصحيح به.

وقد حملني على ذلك ما نلاحظه في واقعنا المعاصر من تأثر الشرائح الكبيرة من المجتمع المسلم بالقوانين الوضعية التي تعطي للإنسان الحرية المطلقة في مجال الكسب والإنفاق، والتي بدأت في أوروبا في العصور الوسطى؛ حيث طالب الناس بإسقاط وصايا الكنيسة عنهم، وكذلك امتيازات النبلاء، وأمراء الإقطاع، وإرساء قواعد جديدة للمعاملات.

وكانت النتيجة صدور نظام حقوق الإنسان في نهاية القرن الثامن عشر، وأخذت به الثورة الفرنسية في القرن السادس عشر. ثم المذهب الفردي الحر «الليبرالي» الذي جاء بعده. وطالب ب ( الحرية السياسية، والحرية الفكرية، والحرية الشخصية، والحرية الاقتصادية). وقد أعلن عن هذه الحريات الأربع في وقت واحد باعتبار أن الحريات الإنسانية وحدة لا تتجزأ. فلا ضمان لحرية الإنسان السياسية والاجتماعية إذا فقدت حريته الفكرية والشخصية، والاقتصادية. ويعتبرون الحرية الاقتصادية المحور الذي تدور حوله الحرية السياسية، فمن يستطيع التحكم في الثروة المالية والموارد الطبيعية تكون لديه القدرة في توجيه دفة

تعتبر كلمة «الحرية» من المصطلحات التي لها دلالات واسعة، وتعددت فيها الرؤى، وشغلت كثيرين من رجال الفلسفة، والمؤرخين، ورجال الفكر الإسلامي، والفقهاء، فبدلوا جهوداً في بيان مفهومها، ومرتكزاتها، وكتبت حولها مؤلفات قديما وحديثا تناولت مفهوم «الحرية الفردية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية، والدينية، والعلاقة بينها وبين المسؤولية» .

ومع ذلك، فهناك مشكلات تواجه المجتمعات في تطبيقها على أرض الواقع؛ لدرجة أنها خرجت عن معناها الأصلي، فأصبحت شعاراً يستخدمها كل فرد للتعبير عن أفكاره، وتوجهاته، ومبادئه، وطريقة تعامله مع الآخرين، فأصبح الكل يطالب بالحرية المطلقة التي كان ينادي بها الفلاسفة ومن نهج نهجهم من الرأسماليين، والشيوعيين منذ القرون الوسطى التي بدأت فيها أفكار « الحرية المطلقة» في كل شيء، وتأثرت بها المجتمعات الإسلامية في عصرنا الحالي.

والإسلام وإن كان يعتبر الحرية حقاً من حقوق الإنسان، ومقصداً من مقاصد الشريعة، إلا أنه أحاطها بشروط أساسية لممارستها: فإلله سبحانه وتعالى هو الذي له التصرف المطلق، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وهو خالق العباد والعالم بأحوالهم، وما يحتاجون إليه، وما ينفعهم وما يضرهم، وهو الذي وهبها لهم، ووضع عليها القيود لمصلحتهم، وقد وصف نفسه بأنه هو « الحكيم الخبير».

السياسة والتخطيط للمستقبل على النحو الذي يريده، معتمدًا في ذلك على فلسفة المذهب الفردي التي تنظر إلى الفرد على أنه محور الوجود، وأن لكل فرد استغلال ملكيته حسبما تملي عليه إرادته، وبمختلف الوسائل والأساليب التي يتمكن منها.

وساد النظام الرأسمالي في معظم دول العالم، فأصبح سلاحًا جاهزًا بيد الأقوياء يشق لهم الطريق لجمع الثروة بأقل تكلفة، ويعينهم على الربح الفاحش على حساب المستهلكين من عامة الناس، كما فسح أمام كل فرد حرية استغلال ملكيته حسبما تملي عليه إرادته، وبمختلف الوسائل والأساليب التي يتمكن منها. وهذا ما نراه في كثير من أسواق العالم، حيث يتحكم فيها أناس عن طريق احتكار السلع، والامتناع عن بيعها، فترتفع السلع نتيجة قلة العرض وكثرة الطلب، وينتج عنه غلاء في الأسعار.

فباسم الحرية الاقتصادية حُكِّم بعض المنتجين في الموارد الاقتصادية، وباسم الحرية الاقتصادية احتفظ بعض المنتجين لنفسه بالأسرار الصناعية، وباسم الحرية انضم بعض المنتجين إلى بعض وكُونُوا مؤسسات جُنَّبَهُم مخاطر المنافسة، وباسم الحرية قام بعض المنتجين بتحديد الإنتاج حتى يقل العرض فيرتفع سعرها، ويحقق بالتالي أكبر قدر من الربح.

وقد حرم الإسلام الاحتكار، فقد روى مسلم بسنده المتصل عن معمر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لا يحتكر إلا خاطئ» (رواه مسلم ١٦٠٥).

والخاطئ هم الأثم المذنب، أي لا يفعل هذا الفعل الشنيع إلا من اعتادت نفسه فعل الخطيئة.

ونهى الإسلام كذلك عن الغش والاستغلال؛ لما فيها من الضرر الكبير على المجتمع، حيث يتم استغلال حاجتهم للسلع الأساسية، ولأنه يتنافى مع حديث (من غشنا فليس منا) رواه مسلم.

والغش له صور كثيرة منها: إبداع البائع ما يوهم كمالًا في مبيعه كاذبًا، أو كتم عيبه، ومنها الغش في الصناعة، قال النووي رحمه الله: ومعناه عند أهل العلم أنه ليس من اهتدى بهدينا، واقتدى بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا... ويتنافى كذلك مع قاعدة «لا ضرر ولا ضرار» (انظر: خصائص الاقتصاد الإسلامي، د. بابللي ص ١٠٣، وشرح النووي على مسلم).

أما حكمة منع الإسلام «الحرية المطلقة» وتقييدها

بالشروط والضوابط، أن هذه القيود هي التي تحقق العدل والمساواة بين الناس، وحُكِّد من غرائز الإنسان وشهواته، وما طبع عليه من حب المال، وهو مطلب شرعي، بل ضرورة من الضرورات التي جاء الإسلام للحفاظ عليها، وهي الكليات، أو الضرورات الخمس، أو الست (النفس، والدين والمال، والنسل، والعقل، والعرض).

فلو أطلق العنان للناس كما هو الحال لدى النظم الوضعية لخرج كثير من الناس عن حد الاعتدال؛ لما في طبيعته من التناقض الذي خلقه الله عليه لحكمة اقتضاها عمران الأرض، واستمرار الحياة، وَلَمَّا جُبِّلَ عليه من الشغف بكسب المال والحب الكثير لجمعه وذلك مصداق قوله تعالى: (وإنه لحب الخير لشديد) وقوله تعالى: (وتحبون المال حبًا جبنًا) وقوله تعالى: (وكان الإنسان قتورا)، وقول الرسول: (يَكْبُرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبُرُ مَعَهُ اثْنَانِ، حُبُّ الْمَالِ وَطُؤُلُ الْعُمْرِ) وفي رواية (قلب الشيخ شاب على حب اثنين، طول الحياة، وحب المال). «صحيح البخاري رقم الحديث ٥٩٤٢، ومسلم رقم الحديث ١٧٤٥».

كما أن الإنسان بفطرته جُبِّلَ على حب الخلود إن لم يكن بنفسه فَبِذَرَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَحُبُّ الْأَسْتِعْلَاءِ وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى الْآخَرِينَ، فهذه الطبايع لو تركت وحدها من شأنها أن تدفع الإنسان إلى تجاوز الحد وجحد حقوق الآخرين، وأخذ ما ليس بحقه، وعدم أداء حقوق الغير، ولأنه لو ترك حرًا لرغباته وحدها فإنه يكسب المال من غير حله وينفقه في غير محله.

وهذا ما نراه في هذا العصر على مستوى الدول والشعوب التي تبنت المنهج الوضعي، فتجد من يكسب ثروة ضخمة دون أن يبذل جهدًا ملائمًا لجمعها، وذلك عن طريق الخيانة، والنهب العلني، والسرقة المكشوفة أو النهب المنظم، أو استخدام السلطة، أو العقود الموهمة بطلاء الشرعية الزائفة، وما أكثر هذا النوع الآن، حيث وصل الأمر عند البعض إلى إباحة فوائد الربا، وهناك من يكسب المال من أوجه الحلال ولكنه يصرف ثروته في البذخ والترف، والمتاع الرخيص، وفي مجال الفخر، والخيلاء والمكابرة ببعثها ذات اليمين وذات الشمال.

وهناك صنف ثالث يحصل على المال بطرق شرعية ولكنه يظن أن هذا ماله الخاص، وليس لأحد فيه نصيب؛ لأنه جمعه على حد زعمه بذكائه وعلمه وفكره، ويقول كما قال قارون: إنما أوتيته على علم عندي فتكون النتيجة أنه لا يشفق على المساكين والمرضى والضعفاء، وإذا طلب منه الإنفاق في أوجه الخير، وإخراج الزكاة ومساعدة المحتاجين

والفقراء يرفض ذلك معللاً بما حكاها الله تعالى عن هذا الصنف: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وينطبق عليه قوله تعالى: (كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين. وتأكلون التراث أكلاً لما تحبون المال حبا جما). فمن هنا أمر الله تعالى عباده في عدد من الآيات بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى (دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٣٥٠، ٣٥٦).

### الفرق بين حرية الكسب في النظام

#### الإسلامي والقانون الوضعي

يمكن أن نلخص الفرق بينهما في النقاط التالية:

• الحرية الملكية « أي الحرية في طرق الكسب والإنتاج والاستغلال ».

فالإسلام له موقف متميز وأصيل في إباحة التملك حيث أقر مبدأ «حرية التملك» للفرد والجماعة. وقيدها بقيود تحقق العدالة. ووضع عليها ضوابط تراعي مصلحة الجماعة والفرد. وتمنع الناس عن جميع أنواع الضرر. والظلم. والجشع. والاحتكار. والغرر. والاستغلال. والإسراف. والترف. ويسمح للأفراد والجماعات بممارسة حرياتهم ضمن نطاق القيم. والمثل التي تهذب الحرية وتصلحها. وتجعل منها أداة خير للإنسانية كلها. ويحترم إرادة الفرد في مجال التعاقد. والعمل. والإنتاج وتصرفه فيما يملك مادام ذلك كله لا يلحق الضرر بالآخرين. ولا يخالف أحكام الله في هذا الشأن. وبذلك يحقق الاقتصاد الإسلامي مصلحة الفرد والجماعة معا.

### تحقيق العدالة « أي الحرية في طرق الاستهلاك

#### وتوزيع الثروة وإنفاقها »

أي العدل في الموازين. والاستقامة في السلوك. والصدق في المعاملة. والأمانة في الأداء والجودة في الإنتاج. والإتقان في العمل. والسلامة في النتائج. وأن حكمه النظرة الأخلاقية قبل أن حكمه النظرة المادية. فلو طبق هذا المفهوم لتحققت السعادة للبشرية على مر الدهور والأزمان. فهي لا تحرمه من ثمرة سعيه. ولكن تمنعه من الطغيان بماله على غيره وقد ذمه الله بقوله ( كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ). أو اكتسابه من حرام أو إنفاقه في حرام. امتثالا لقوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقوله ( وأحل الله البيع وحرم الربا ) .

ومن العدل كذلك الامتناع عن الخداع والبخس في الكيل والميزان. فقد حذر الإسلام من استخدام أساليب فيها خداع وتضليل في ثمن الشيء المبيع. وفي الحديث ( نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان. وقال دعوا

الناس يرزق الله بعضهم من بعض ) وفي رواية ( لا بيع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض ) رواه الترمذي ٥٢٦ / ٣

وإنما نهى عن ذلك لأن الحاضر يعلم أسعار الأسواق. ويفوت على الحاضرين بعض المنافع التي يجدونها عند القادمين . أما إذا باعه الأعرابي فسوف يكون الضرر أقل لكلا الطرفين. وإذا كان هناك غبن فاحش لأحد الطرفين . فقد جعل الشارع له حق الرجوع في مبيعه أو ثمنه: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقلوا الركبان للبيع. ولا تصروا الإبل والغنم. فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين. إن شاء أن يسكها. وإن شاء أن يردها بصاع من ثمر لا سمرء ) وفي رواية « نهى أن تلقي الجلب. فمن تلقى جلبا فاشترى منه فالبايع بالخيار إذا ورد السوق » .

انظر سنن البيهقي ٣٤٨ / ٥. سنن النسائي ٣٥٧ / ٧ ويفهم من هذه الأحاديث وغيرها أن الشريعة الإسلامية وضعت جملة من القواعد والضوابط الأخلاقية والتشريعية التي تكفل لحركة السوق أن تسير في مسارها الصحيح الذي تتحقق فيه العدالة لكلا الطرفين. والمصلحة العامة لكل من البائعين. والذي به تزداد الثقة بين الطرفين. والتنافس الشريف بين المتعاملين. ويجد أرباب الحاجات حوائجهم فيه بعيدا عن الاحتكار.

فمن هذه القواعد التي تقوم عليها السوق والمعاملات التجارية. ترك السلعة حتى تصل السوق. والاستغناء عن دور الوسيط في عملية البيع والشراء. والمنع من التلاعب في أسعار السلع والتضليل فيها. حتى يأخذها المشتري بثمن يتجاوز السعر الحقيقي ظنا منه أنها تستحق ذلك. وعدم الاحتكار. وله صور عديدة منها حبس السلع التجارية على اختلاف أصنافها لتقل في السوق. ويرتفع ثمنها. ويتحكم في بيعها بالأرباح التي يفرضها مهما كانت حالة المشتري من عجز أو اقتدار. وقيل : شراء الطعام في وقت الرخص للتجارة. وعدم بيعه في الحال. وإدخاره للغلاء.

والحكمة من حرم الشارع له : وجود آثار سلبية على الاقتصاد والمجتمع. فهو يؤدي إلى إهدار حرية التجارة والصناعة. والتحكم في الأسواق. كما أنه يسد أبواب الفرص أمام الآخرين. ويؤدي إلى إبقاء الموارد الإنتاجية معطلة بقصد تحديد العرض طالما كان المحتكر آمنا المنافسة التي تؤدي إلى الإتقان والتفوق في الإنتاج. وبالتالي يحصل ارتفاع الأسعار. ويلحق المستهلك أبلغ الضرر. وفوق هذا كله فهو يولد الحقد والكراهية بين



أبناء الشعب الواحد خصوصا في الظروف الاستثنائية كظروف الحرب وانقطاع الموارد بسبب القحط أو غير ذلك. ويتنافى كذلك مع ما يهدف إليه الإسلام من تنمية العلاقات الطيبة بين الناس. وإقامة المجتمع الإسلامي على أسس من المودة والتعاون.

انظر: الحرية الاقتصادية في الإسلام د. صلاح نامق ص ٢٤٤ ومن خلال هذه الفلسفة تميز الاقتصاد الإسلامي عن النظم الأخرى. وكانت له رؤيته، وغايته وسياسته في الإنتاج والاستهلاك والتوزيع. والبيع والشراء فلا هو شيوعي ولا رأسمالي. بل هو نظام فريد وضعه خالق الأرض والسماء والعالم بمصالح العباد يحقق تطبيقه الحياة الحرة المستقيمة الخالية من البغض. والحسد. والجشع. والطمع. وتصبح الحياة في ظلاله حياة تعاون يعمل فيها الصغير والكبير. وكل القادرين على العمل. ويكون الإنتاج تحت شعار ( كلنا نعمل وكلنا إخوة. المال مال الله. والعباد عيال الله. والعمل حق. والتدخل لمصلحة الجماعة واجب. والملكية مصونة إذا انحرفت وحادت عن الطريق السليم ). انظر: السياسة الاقتصادية والنظم المالية د. أحمد الحصري ص ٦٧

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: « إن أحكام الشريعة ما شرعت إلا لمصلحة الناس وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله » ويقول ابن القيم: « إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومراعاة مصالح العباد في المعاش والمعاد. وهي عدل كلها ورحمة كلها. ومصالح كلها وحكمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور. وعن الرحمة إلى ضدها. وعن المصلحة إلى المفسدة. وعن الحكمة إلى العبث. فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل. » إعلام الموقعين ١٤ / ٣ .

فالمصلحة في نظر الإسلام هي المعتبرة وهي المقصودة من مجمل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية. والشرع هو الذي يقرها ويعتبرها لا مصلحة الأفراد والجماعات التي تبنى على الأهواء والشهوات. لقوله تبارك تعالى: « ولو اتبع الناس أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » سورة المؤمنون آية ٧١

والتحليل والتحرير في الشريعة الإسلامية يقوم على المصلحة التي يتوخاها الإسلام للأفراد والجماعات. يراعى فيها الصالح العام. وما أحله الشارع فلهم حرية التصرف فيه في ضوء القواعد والضوابط التي وضعها الشارع لمصلحة الأفراد والجماعة. وهي: « الأصل في الأشياء الإباحة » وهي مستمدة من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ( هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا. وقوله تعالى: « وسخر لكم

ما في السموات وما في الأرض » . وقوله تعالى: « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

أما ما حرّمته الشريعة فلا حرية للإنسان فيه. كتحرّم الربا والاحتكار والرشوة. والاستغلال للظروف الإنسانية. أو نفوذ السلطة وغيرها وكذلك تحريم أنواع الغرر والغش والخدعة والاحتيال ففي هذه المجالات لا تقبل الحرية قطعا بل يحرم الإسلام هذا النوع من الحرية .

وهناك آيات وأحاديث وردت في هذا المعنى منها قوله تعالى: « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » . وقوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين » . وقوله تعالى: « قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون » . وقوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير » . والدعوة إلى أكل الطيبات تواكبها الدعوة إلى الطيب من الإنتاج والتمن. فلا يصح في الإسلام أن ينتج ما هو محرم. ولا ما هو ضار بالصحة والأخلاق.

أما الأحاديث فكثيرة منها: قوله ( من غشنا فليس منا ) صحيح ابن حبان ٣٧٠ / ١١ . وقوله ( البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما. وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما ) صحيح البخاري ٧٣٢ / ٢ . وقوله ( من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ ) الترغيب والترهيب للمنزري ٢٨ / ٣ وفي رواية ( لا يحتكر إلا خاطئ ) .

فكل ما حرّمه الإسلام من القول أو الفعل أو العقود إنما هو تطهير للمجتمع من شوائب الظلم. والعدوان. والفساد . ومن الأدلة التي تفيد منع الإسلام اكتساب الأموال عن طريق استغلال السلطة أو النفوذ ما رواه البخاري في صحيحه ( أنه أقبل يوما على رسول الله ابن اللتبية. وكان الرسول قد استعمله على صدقات بني سليم. فقسم الرجل ما معه قسمين. وقال للنبي: هذا لكم وهذه هدايا أهديت إلي فغضب رسول الله . وقام وخطب الناس. فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: ( أما بعد فإنني أستعمل رجلا منكم في أمور ما ولائني الله. فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم . وهذه هدايا أهديت إلي فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبتة. » صحيح مسلم ١٤٦٣ / ٣ . صحيح البخاري ٢٦١ / ٤ » والحديث ورد بروايات مختلفة. وهو يفيد عدم جواز استغلال النفوذ لأكل المال. وهذا ما يسمى « قانون الكسب غير

المشروع». ومن الأدلة على حرم بيع الغرر ما رواه أبو هريرة قال: (نهى رسول الله عن بيع الغرر) صحيح مسلم حديث رقم ٢٧٨٣. وعن علي قال: (نهى رسول الله عن بيع المضطر وبيع الغرر وبيع التمر قبل أن يدرك). وعن أنس قال: (نهى رسول الله عن بيع الثمار حتى تُزهى. قيل يارسول الله وما تُزهى؟ قال: حتى خمر. قال: أرأيت إذا منع الله الثمرة فبم يأخذ أحدكم مال أخيه). سنن النسائي حديث رقم ٤٤٥٠. ومن الأدلة على حرمه من أجل الإسراف قوله تعالى: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا» سورة الإسراء آية ٢٧.

فهذه النصوص وغيرها تفيد أن هناك أنواعا من المعاملات والتصرفات حرمها الإسلام. وذلك لتحقيق الأمور التالية:

- أن تقوم علاقات الناس في التعامل المالي على أسس من التكافل والتراحم والتعاطف والوضوح بدلا من التباغض والتنافر. والتظالم. والغش والغرر. وما يؤدي إليه من صراع طبقي.

- دفع الناس إلى بذل الجهد لكسب المال وتنميته بدلا من الالتجاء إلى وسائل الاستغلال الوضيعة لكسب المال بدون جهد أو عناء.

- إغلاق المنافذ التي تؤدي إلى تضخم الثروات في أيدي بعض الأفراد. فطرق الكسب غير المشروع هي التي تؤدي غالبا إلى الأرباح الفاحشة. والثروات الضخمة. فلذا حرم الإسلام الربا؛ لأن الفائدة التي يحصل عليها المقرض لا تتأتى نتيجة عمل إنتاجي أسهم فيه. فهو لا يقوم بأي عمل يعود على الفرد والمجتمع بالنفع. وإنما يعمل ما يتنافى مع المبادئ الإسلامية. ويؤدي إلى الكسل وأكل أموال الناس بالباطل.

- القضاء على جميع الأسباب التي تؤدي إلى الأضرار الاقتصادية والاجتماعية. وتعميق الهوة بين الأغنياء والفقراء. وإلى التحاسد والبغضاء. وصرف الأموال فيما يعود على صاحبه بالضرر فضلا عن أن يعود على غيره بالنفع. ولذا نصت الشريعة الإسلامية على أن للدولة حق التدخّل ومراقبة الأنشطة الاقتصادية. وتنظيمها إذا اقتضتها المصلحة. وذلك تحقيقا للتوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع وحماية للمصالح العامة وحرصاً على حريات الأفراد.

وبهذه التعاليم غيّر الفكر الإسلامي السمات المعيشية التي كانت سائدة وقت ظهوره. والتي يشهد عدم ملاءمتها للمجتمع البشري ما قاله أحد شيوخ القبائل وقتها. وقد سئل عن العدل في نظره فقال: (العدل في نظري هو أن أغنيّر على غنيّ جاري فأخذها. والظلم في نظري هو أن يعود جاري فيأخذ مني غنمه). الاقتصاد الإسلامي. د. عيسى

عبد. ص ٣٣٩.

فجاء الإسلام وأحدث تغييرات جذرية في هذه العادات والتقاليد السائدة في المجتمع العربي القديم. وقضى على أنواع التعامل الذي فيه إجحاف وظلم للآخرين. فمن العادات التي كانت سائدة في الجاهلية. وصحح الإسلام مسارها نظام الضرائب. فكانت واجبة على الفقراء يؤدونها للأغنياء من مالهم وجهدهم. فإذا تردد أحد في الدفع كان عليه الدفع أضعافا مضاعفة دون أدنى رحمة ومراعاة لظروفه. وجاء الإسلام فغير الاتجاه في فرض الضرائب فجعلها للفقير على الغني كل بقدر طاقته. قال تعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها». سورة التوبة آية ١٠٣.

ومع هذه الخصائص التي يمتاز بها نظام الحرية الاقتصادية في الإسلام نجد كثيرا من المسلمين يجهلون مكانة الإسلام ودوره في تحقيق الاستقرار والتنمية والرخاء بينما نرى عددا من المفكرين الغربيين يعترفون بتفوقه على النظم الأخرى. والفضل ما شهد به الأعداء.

يقول الفيلسوف الإنجليزي «برناردشو» (إني أرى في الإسلام دين أوروبا في أواخر القرن العشرين) ويقول المفكر الألماني «جوته» (إذا كان هذا هو الإسلام. أفلا نكون كلنا مسلمين). ويقول: «جاك أو ستري» وهو واحد من علماء الاقتصاد الفرنسيين البارزين: (إن طريق الإنماء الاقتصادي ليس محصورا في المذهبين المعروفين «الرأسمالي والاشتراكي» بل هناك مذهب اقتصادي ثالث راجح وهو المذهب الاقتصادي الإسلامي. وسوف يسود هذا المذهب عالم المستقبل. لأنه أسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا. ويتجنب كافة المساوئ. ويتمتع بإمكانات عظيمة. وإنه يستطيع أن يتغلب على جميع الصعوبات الاقتصادية التي يقف الاقتصاد الحديث عاجزا عن معالجتها.

انظر: «الاقتصاد الإسلامي. د. عيسى عبد. ص ٢٢٩. أهمية الاقتصاد الإسلامي. د. محمد شوقي ٣١٢/٢» وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

### المراجع

- الإسلام والتنمية الاقتصادية أ. شوقي أحمد دنيا
- الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهج د. عيسى عبد
- الاقتصاد في الفكر الإسلامي د. أحمد شلبي
- السياسة الاقتصادية في الإسلام د. محمد عبد المنعم
- الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق د. محمد تاج

# حكمة الضفدع.. في عالم متعدد!

بقلم: التجاني بولعوالي

أكاديمي وكاتب إعلامي - بلجيكا

والمناعة ضد ما هو أجنبي وعدم الاستعداد النفسي. لكن لحسن الحظ توجد شريحة متسامحة في المجتمع الغربي. بل وفي المجتمع الإنساني على وجه العموم يمكن مائلتها بالضفدع. وتشكل هذه القصة حلقة من سلسلة (الضفدع وأصدقاؤه) التي لا تخلو منها مكتبة مدرسية أو عمومية في هولندا وبلجيكا. وليس هناك طفل هولندي أو فلمنكي لم يقرأ هذه القصص، التي تتمحور على مختلف القيم الإنسانية والمهارات الاجتماعية. وقد ظهرت هذه السلسلة، التي ألفها الكاتب والرسم الهولندي ماكس فيلتهاوزيس. منذ أكثر من ربع قرن، ومع مرور الوقت اكتسبت شهرة وطنية وعالمية. إذ حازت العديد من الجوائز المشهورة. وأقيم لها جناح في معرض كتاب الأطفال بالعاصمة الهولندية لاهاي. كما أنها ترجمت إلى أكثر من ٥٠ لغة.

إن نظرة الإنسان الغربي إلى الآخر ما انفكت تتأثر عبر التاريخ بالتحويلات المحلية والكونية. إذ تساهم مختلف السلوكيات والمشاعر وأحكام القيمة في تكوين صورة معينة حول الإسلام والمسلمين. تناسب معايير ومقاسات بعض صناعات القرار والرأي. ويبدو أن هذه الصورة لا تكون دوماً حقيقية، لا سيما وأنها تتغذى بالأحكام الجاهزة المسبقة والتنميطات التعميمية. وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أن الإشكاليات التي تعرقل التعايش بين الشريحة المسلمة وفئة الغربيين الأصليين تتعلق بالدرجة الأولى بالجهل المتبادل والافتقار إلى المعرفة الموضوعية لكل طرف عن الطرف الآخر. ما يصعد وتيرة الصراع بين الأفراد. ويحدث الشروخ بين مكونات المجتمع الواحد. فيترتب عن ذلك العنف والكرهية والخوف بدل التسامح

ذات يوم تفاجأ الضفدع وأصدقاؤه الخنزير والبطّة والأرنب. الذين كانوا يسكنون في الغابة على مقربة من نهر عذب جميل. بقدوم وافد جديد! حيث اكتشف الخنزير أن غريباً استقر على ضفة النهر وهو الجرذ. ما جعله يغضب بشدة واصفا إياه بالمتسخ الذي تزكم رائحته الكريهة الأنوف. غير أن الضفدع قال له بحكمة متناهية بأنهم يجهلون حقيقة هذا الغريب. الذي لعله قد يكون وديعاً. فرأى أن يقوم أولاً بجولة استطلاع للتعرف على هذا الأجنبي الذي عكر على حين غرة حياة أصدقائه. ليجد أن هذا الوافد على قريتهم حيوان متميز ووديع. ويتقن مختلف المهارات. كالنجارة والكتابة والقراءة. بل ويتحدث الإنجليزية والدنماركية والألمانية. ومع ذلك كله. تمادى الخنزير في معاملة الجرذ بالجفاء والرفض. ملحاً عليه بمغادرة المكان وعدم البقاء. لا سيما وأنه مختلف عنهم حسب وصف البطّة له. وهذا ما جعل الضفدع يتساءل من جديد بحكمته المعهودة: ألسنا جميعاً مختلفين؟!

بينما كان الخنزير منشغلاً بتحضير الطعام. فإذا بالنار تشتعل في مطبخه. فهرع الجرذ لمساعدته. وتمكن من السيطرة على ألسنة الحريق وإطفائها. وبينما كان الأرنب يغتسل قرب النهر. فإذا به يقع في الماء. فكاد أن يغرق لأنه لا يجيد السباحة. ولولا الجرذ الذي أنقذه وجرّه إلى ضفة النهر لكان مصيره الموت المحقق. وهكذا أدرك الجميع بعد وقت وجيز أن الجرذ مستعد دوماً لخدمة الآخرين ومساعدتهم. لذلك يمكن له البقاء والاستقرار في القرية<sup>(١)</sup>.

إن نظرة الخنزير. والبطّة والأرنب إلى الجرذ يمكن مقارنتها بنظرة الكثير من الغربيين الأصليين إلى الأجانب والغرباء والمسلمين! ولعل مرد ذلك إلى شتى الأسباب. كالجهد



والسلم والتعايش.

قبل أكثر من أربعة عشر قرناً قال خليفة المسلمين الرابع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إن الإنسان عدو ما جهل. وقد اقتبس المفكر السويدي إجمار كارلسون هذه المقولة البليغة. ليوظفها في كتابه الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة؟ وهذا ما يؤكد أن المعنى السامي الذي يحمله هذا القول قد يصلح أيضاً للسياق المعاصر. حيث مشاعر الجهل والخوف والبغضاء من شأنها أن تؤدي إلى فرضيات غير صحيحة حول خطر مكون اجتماعي معين على مكون أو مكونات أخرى. كما نرى ونعيش اليوم في الغرب<sup>(١)</sup>.

ويظهر أن هذا النوع من القولية التي يُصنف أو يُحدد أو يُنمط بها الآخر تظل مستمرة. رغم أن الثورة المعرفية قد بلغت أوجها في زمن العولمة وما بعد الحداثة والثورة الرقمية. ما يكشف عن أن الإشكال لا يقتصر على ما هو معرفي فحسب، وإنما يتخطاه إلى ما هو نفسي. لأن المعرفة وحدها دون الاستعداد السيكلوجي لا تكفي لخلق مناخ ملائم للتعايش. وإرساء حوار متبادل وجاد بين مختلف شرائح المجتمع.

لقد كثرت الحديث حول الإسلام في الغرب في وسائل الإعلام والأدب والفكر. غير أنه قلما تتم معالجة قضايا الإسلام والمسلمين وتقديمها بتجرد علمي. كما تصادف عند مؤلفي كتاب (من الحريم إلى الفتنة) اللذين قاما بجهد جسور من خلال تناولهما للصور النمطية المتداولة حول الإسلام قصد استيعابها وتشرح جذورها التاريخية. ولا سيما أن أي سلوك أو نازلة أو صورة يحركها سبب معين. وهذا ما يسري كذلك على الوضعية التي يوجد فيها اليوم الإسلام. فالصورة الحالية المنسوجة حول الإسلام في الغرب وفي العالم لم تنشأ فجأة. بل عبر قرون طويلة من العلاقات المحكومة بالمد والجزر بين الإسلام والغرب. التي أنتجت صوراً سلبية متبادلة بين هذين الطرفين التاريخيين والحضاريين. وهذا ما جعل الباحثين يعودان إلى الماضي والقيام بمسح المرحلة الممتدة من ١٨٤٨ إلى ٢٠١٠. ليس بهدف كتابة تاريخ الإسلام أو الاشتغال على حقيقة الدين الإسلامي. وإنما لمعالجة نظرة الهولندي والغربي التي أنتجت صوراً معينة عن الإسلام: ديناً وثقافة. وهو يعرب من خلال ذلك عن رؤيته حول الثقافة وعن تصوره حول القيمة من جهة. ويؤكد تضامنه مع القادمين الجدد في المجتمع من جهة ثانية. في جو يتراوح بين الخوف والتفهم<sup>(٢)</sup>. من هذا المنطلق. يبدو أنه لا يمكن إنكار الدور الجوهري الذي قد تؤديه المقاربة العلمية في تخفيف حوار الأديان والثقافات. لأنه

في غياب التعرف المتبادل لا يُحتمل تحقيق الاعتراف المتبادل. فالاعتراف ينبثق من التعرف. والفهم من المعرفة. فبمجرد ما نتمكن من تكسير حواجز الجهل نستطيع أن نتعرف على بعضنا البعض بسلاسة وأريحية. فتتلاقح أفكارنا. وتلتحم مشاعرنا. و «حتى إذا كنا لا نتفق فيما بيننا ولدى المرء مشكلة في قبول أو استيعاب معتقدات وممارسات الآخر. ينبغي له أن يُظهر الاحترام ويكون متسامحاً». حسب اعتقاد فيلسوف الدين هانك فروم<sup>(٣)</sup>.

عوداً على بدء. إن قصة الضفدع والغريب تكشف عن أن الغرب مختلف. واختلف لا يرحب به لأول وهلة في المجتمع. غير أنه بمجرد ما يصبح معروفاً. لا سيما من خلال سلوكياته الإيجابية وإسهاماته البناءة يرحب به المجتمع ويعامله بالاحترام والتقدير. وهذا ما ينطبق كذلك. بشكل أو بآخر. على الكثير من شرائح المجتمع الغربي التي لا يشكل لها الأجنبي أي عقدة أو تهديد. كما تروج بعض وسائل الإعلام المؤدجة.

إن الرقي بالمجتمع المتعدد الثقافات وتجاوز ما يصطلح عليه في الأدبيات الهولندية بـ «دراما التعددية الثقافية»<sup>(٤)</sup>. ليس في هولندا والغرب فحسب. وإنما في العالم برمته. لا يتأتى إلا من خلال جنيد أناس يحملون عقلية الضفدع السمحة. فهؤلاء يحضنون الآخر كما حضن الضفدع الجرذ! ويصفون بحكمة ورفق قصد تحقيق الفهم المتبادل. لا قصد تثبيت الرأي الشخصي بلغة الإقناع والاحتجاج. غير أن السؤال والذي يطرح نفسه بقوة هو: هل نحن جميعاً؛ الأصليون والغرباء. الغربيون والجنوبيون. المسلمون وغير المسلمين على استعداد لأن نقتفي أثر الضفدع في قبول الآخر المختلف عنا؟

#### الهوامش:

- 1- Max Velthuys, Kikker en de vreemdeling, Leopold Amsterdam 2008, p. 8, 9
- 2- كارلسون. إجمار. الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة؟ تر. سمير بوتاني. الشروق الدوالية القاهرة 2003. ص 35
- 3- Poorthuis, Marcel en Theo Saleminck, van Harem tot Fitna, Beeldvorming van de islam in Nederland 1848-2010, Valkhof Pers België 2011, p. 13
- 4- Henk, Vroom, Een waaier van visies, godsdienstfilosofie en pluralisme, Agora Kampen 2003, p. 71, 72
- 5- Scheffer, Paul, 'Het multiculturele drama', NRC Handelsblad, 29 januari 2000

ضمن التحسينات في صناعة كسوة الكعبة

## حزام مذهب هذا العام في الركن اليماني

إعداد: أسامة بامعلم

رجب، والثالثة من الديباج الأبيض يوم السابع والعشرين من شهر رمضان. وأول من كسا الكعبة بالأسود الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد، وأخذت الكعبة بعد ذلك ترتدي السواد إلى يومنا هذا.

ومنذ القرن السادس الهجري أصبحت الكعبة تُكسى مرة واحدة كل عام، في صباح يوم النحر. والسبب في ذلك أن أنواعاً من القماش قد صنعت ذات متانة، تتحمل عوامل الجو من حرارة ومطر ورطوبة.

وفي عام ١٣٤٥ هـ، أمر الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بصناعة الكسوة داخل المملكة. وفي العام نفسه وضعت الكسوة المصنوعة في مكة المكرمة وهي من الجوخ الأسود الفاخر المبطن بالقلع المتين وعمل حزام الكعبة المطرز بالقصب الفضّي المموه

يذكر تاريخ البلد الحرام أن أول من كسا الكعبة المشرفة في الإسلام هو الخليفة أبوبكر، رضي الله عنه؛ كساها القباطي. ومن بعده أمير المؤمنين عمر، رضي الله عنه أيضاً. أما عثمان رضي الله عنه، فلم يكتف بالقباطي بل كساها أيضاً البرود اليمانية، وهو أول من وضع على الكعبة كسوتين إحداها فوق الأخرى.

وفي عهد بني أمية أجرى معاوية رضي الله عنه الطيب للكعبة عند كل صلاة، وكسا الكعبة كسوتين في العام، واحدة من القباطي والأخرى بالديباج.

واهتم الخلفاء العباسيون بالكسوة، وفي عهدهم، دخل طلاء الكسوة بماء الذهب، وصناعة الكسوة من الحرير على أيدي أمهر النساجين. واستحدث المأمون في عام ٢٠٦ هجرية، كسوة الكعبة ثلاث مرات؛ الأولى من الديباج الأحمر يوم التروية، والثانية من القباطي وتُكسى غرة





به وإعاقفة الطواف أثناء الازدحام خصوصاً في أوقات الذروة حرصاً من الرئاسة على تسهيل حركة الطواف وتمكين ضيوف الرحمن من أداء مناسكهم وشعائهم بيسر وسهولة.

وأفاد بأنه قد شرعت الرئاسة في تركيب الحلق المذهبة والحبل وتثبيتها بالشاذرون ابتداءً من تحت الحجر الأسود باتجاه الركن اليماني فالحطيم فالجهة الشرقية من الكعبة المشرفة، ويعمل الحبل على تثبيت الثوب من خلال مروره بالحلق المذهبة.

وأبان أنه تم إنزال الثوب وتثبيته وتركيب باقي المذهبات وعمل الشد اللازم والوزن من جميع الجوانب وتركيب الإطار للحجر الأسود والركن اليماني، مشيراً إلى أنه في إطار جهود الابتكار والتطوير لحياكة أرفع رداء يعتلي أشرف بناء على وجه الأرض، وبما يحقق توجيهات القيادة نحو تحسين وتطوير مستوى الخدمات المقدمة لقاصدي الحرمين الشريفين، فقد جرى تركيب حزام مذهب جديد للركن اليماني يعمل على التفريق والتمييز بين الركنين الأسود واليماني أسوة بقناديل (الله أكبر) فوق الحجر الأسود الذي يتم عنده التكبير في بدء الطواف، كما أضفت الحلية الجديدة رونقا وبهاء جمالياً إضافياً على كسوة الكعبة المشرفة، وكذلك تسهيل معرفة الجهات وتذكير الطائفين بالذكر الوارد بين الركنين: «ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي

بالذهب.

وكتبت على الكسوة آيات بينات من القرآن الكريم، وتم تغيير لون الكسوة الداخلية من اللون الأحمر إلى اللون الأخضر، وصار يستورد أرقى أنواع الحرير من إيطاليا وألمانيا بدلاً من حرير مصر والهند.

وفي عام ١٤٣٧ هـ. وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، أضيفت لمسة جديدة إلى الكسوة الشريفة، عبارة عن حزام مذهب في الركن اليماني بطول ستة أمتار.

وتسهم هذه الزيادة في تمييز الركن اليماني عن الأركان الأخرى، وكذلك تسهيل معرفة الجهات داخل الحرم من خلال تمييز أركان الكعبة.

وقال الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الدكتور عبدالرحمن السديس في تصريحات صحفية إنه تم إسدال الجزء الذي تم رفعه من كسوة الكعبة المشرفة خلال موسم الحج لعام ١٤٣٧ هـ وتثبيته بحلق الشاذرون المثبتة بالكعبة المشرفة.

وأضاف أنه قد جرت العادة بتوجيه مصنع كسوة الكعبة المشرفة لرفع الجزء السفلي من ثوب الكعبة المشرفة قبل كسوتها في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، ويبقى هذا الجزء مرفوعاً حتى مغادرة الحجاج والهدف من هذا الإجراء حماية الجزء السفلي للثوب من الاحتكاك والتعلق





الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». من المعروف أن كسوة الكعبة المشرفة مصنوعة من قماش الحرير الطبيعي المصبوغ باللون الأسود. وتستهلك الكسوة أكثر من سبعمائة كجم من الحرير الذي يتم صباغته ونسجه وحيالته بمصنع كسوة الكعبة المشرفة الكائن في أم الجود. وتُنسج كسوة الكعبة المشرفة بطريقة (الجاكارد)، منقوش عليها:

(لا إله إلا الله محمد رسول الله) و (سبحان الله وبحمده) و (سبحان الله العظيم) و (يا حنان يا منان يا الله) . ويبلغ ارتفاع الثوب أربعة عشر متراً ويوجد في الثلث الأعلى من الكسوة حزام مطرز بالذهب والفضة كتب عليه آيات قرآنية بالخط الثلث المركب ، محاطة بإطار من الزخارف الإسلامية ويبلغ طوله خمسة وأربعين متراً ويتألف من ست عشرة قطعة ويوجد تحت الحزام على الأركان سورة الإخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الإسلامية. ويستهلك تطريز الحزام أكثر من (١٢٠) كجم من أسلاك الذهب و(٢٥) كجم من أسلاك الفضة ويلي الحزام قطع مستطيلة منها قناديل كتب عليها ( يا حي يا قيوم)، و( يا رحمن يا رحيم )، و( الحمد لله رب العالمين )، وعلى باب الكعبة ستارة مطرزة بأسلاك الذهب والفضة. وقد أصبح مصنع الكسوة الآن معلماً بارزاً من معالم العاصمة المقدسة. يزوره كل عام الآلاف من مختلف أنحاء العالم ومن كافة المستويات. يسجلون بإعجاب وتقدير ما وصل إليه المصنع من تطور وازدهار. ويدرك زائر المصنع بعد مشاهدته لأقسام المصنع مدى الجهد المبذول. الذي يُعدُّ بحق مفخرة من مفاخر العهد السعودي.





## أزماتنا... كيف نفهمها وكيف نتعامل معها؟

محمد سكال

باحث برابطة العالم الإسلامي

لتكون مسرحاً للصراع المتواصل بين طرفين أحدهما يمثل طريق الحق والهدى الذي عرفه رب العزة للناس في رسالاته. والآخر يمثل طريق الباطل والضلال الذي دعت إليه الشياطين. وأردت فيه الكثير من الناس.

ولا مناص لفرد من الأفراد من التحيز لأحد الطرفين في هذا الصراع السنني اللازب. كما لا يمكن لأمة من الأمم أن تخرج عن الحلبة وتتخذ موقف الحياد. وذلك بالنظر إلى المحصلة الكلية للاعتقادات والمثل التي يدين بها أفرادها. وتتشكل بها لديهم القيم الاجتماعية. وتنفرد الأمة الإسلامية بفارق جوهري. وهو أنها مهما تدهورت أوضاعها على المستويات الجزئية والفردية. فإنها تبقى معصومة من الانحياز الكلي إلى الطرف الثاني. وهذه العصمة ثابتة بمنشورات من الدلائل الشرعية التي ترقى في زمرتها إلى درجة القطع في إثباتها. وهي متكأ علماء أصول الفقه في إثبات حجية إجماع علماء الإسلام. فمن محتوم الأقدار أن تبقى الأمة الإسلامية مثلة لطريق الحق والهدى. وأنها لأجل ذلك تواجه ابتلاءً مستمراً بغيرها. من يمثلون الطريق الآخر.

والشئ الثاني الذي ينبغي أن يعيه جيل الأزمة. ما يمكن أن نستلهمه من التأمل في الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به. وهو متوجه إلى غزوة خيبر: فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس أنه عليه السلام كان يكثر من قوله: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن. والعجز والكسل. والبخل والجبن. وضلع الدين وغلبة الرجال». فلو أمعن أحدنا الفكر في مفردات هذا الدعاء. لوجد فيها علاجاً نفسياً لأوضاع الأزمات. فإن الإحباط إذا تطرق إلى النفس. واستبد بها من أقطارها. خلل إلى زمرة من الهموم والأحزان. وتحول تلك الاكتئابيات المتداعية إلى شلل في الإرادة

الأزمات والحن التي توالى على الأمة المسلمة. وتناولت عليها الآماد. أورثت حالة من الإحباط النفسي العام. والشعور بخيبة الآمال. واليأس من التعافي. ولو أن أمة أخرى دهاها ما دهي الأمة الإسلامية من النكبات. لسقطت سقوطاً لا قيام لها بعده. لكن ميزة أمتنا أن الحن تضنيها ولا تفتنيها. بل تستعيد عافيتها منها كلما فاءت إلى دينها واستقامت على منهاج ربها. واستجابت للدعاء الإلهي: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» [الأنفال/٢٤].

ولا بد من الوقوف بشيء من الإمعان عند هذا الإحباط الذي استحوذ على كثير من النفوس. فإن النهضة الإسلامية المرتقبة والتخلص من حالة الاضطراب والاحتراب. لا يمكن أن تنطلق إلا من نفوس مترعة بالأمل غنية بالعزائم والهمم. مستوعبة سنن سقوط الأمم ونهوضها. وها هنا مسؤولية جسيمة ورسالة تاريخية تقع على عاتق أولي الريادة في الأمة. من رجال الفكر والدعوة والإصلاح. في نفخ روح الأمل في النفوس. وإرشادها إلى سبل التغلب على هذا الإحباط. ومعالجة آثاره في الكيان الداخلي والمعنوي. والدلالة على عناصر الطاقة الكامنة التي تملكها الأمة الإسلامية. التي لو جهدت في تنشيطها وأحسنست استخداماتها. لجاءت النتائج مبشرة بمستقبل مشرق ينبلج من خضم هذا الحاضر الكالغ العقيم.

وأول شئ ينبغي أن نرسخه في وعي أبناء جيل الأزمة. هو التوعية بأن الصراع بين الفريقين من أهل الحق وأهل الباطل. سرمدى لا مطعم في انقطاع جولاته إلى يوم الدين: لأنه ضرورة يتجلى فيها ناموس الابتلاء الذي جعله الله تعالى غاية للوجود البشري المؤقت على الأرض. وهى الأسباب فيها



مشكلتهم في العجز عن إيجاد أعمال مناسبة لتصريف طاقاتهم ومواهبهم في أقية التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي تحتاج إليها الأوطان الإسلامية. فإن الإرادة والمؤهلات غير كافية في صناعة المجد. ما لم يرتبط ذلك بتصور واضح لما يجب أن يفعله الإنسان. حتى لا تبدد طاقته في الفراغ أو تصرف في مشاريع غير مجدية بالمقاييس الحضارية.

وفي الأمة فئة رائدة تملك قدرة على فهم الأمور في صورتها الكاملة. وضمن سياقاتها وملابساتها. وتنفذ من الظواهر إلى البواطن. وتجتهد في التعرف على ما تختزنه الأمة من طاقات وتتوفر عليه من إمكانات مادية وبشرية. وإيجاد المشاريع والبرامج الملائمة لتوظيفها فيها. بما يحقق للأوطان الإسلامية وشعوبها تنمية شاملة راشدة. فهذه الفئة هي معقد أمل الأمة ومحط تطلعاتها. وليس لأحد أن يزعم أن هذه الفئة منحصرة في حزب أو جماعة أو طائفة معينة. بل هي مبنوثة في مختلف المواقع. وموجودة في مختلف الشرائح. لا يربط بعضها ببعض إلا رابط الانتماء الإسلامي العام. والحرص على وحدة الأمة والغيرة على حرمانها. والإخلاص في خدمة دينها وأوطانها.

#### مهمة العلماء الربانيين تجاه الخير المكنوز في الأمة:

لا يخفى أن المهمة الأساسية المنوطة بأهل العلم وحملة الشريعة. تتمثل في تعليم الناس دينهم في الاعتقادات والعبادات والمعاملات. وتفنيد الشبه والأباطيل التي تلقى فيه. ولكن لا تنتهي رسالتهم عند هذا الحد. بل تمتد إلى ما هو أبعد منه. إلى دلالة الناس على دروب الصلاح والفلاح وحثهم على سلوكها. وإشعارهم بالمسؤولية الدينية تجاه ما وهبهم الله من مواهب مادية وفكرية. والاهتمام بالشباب تعليمًا لهم وتحصينًا من الزلل والخلل في فهم الدين. ومن الانسياق وراء التيارات الزائفة والمذاهب الهدامة والدعوات المغرضة. ومن رسالة العلماء إسداء النصيح لأولي الأمر وحثهم على الرفق بالأمة والعدل فيها. والكشف عن مكنونات العبر في وقائع التاريخ في القديم والحديث. وربطها بما دل عليه القصص القرآني من سنن القوة والانتشار والضعف والانحسار.

ومن المهمات التربوية المنوطة بالعلماء أن يركزوا على أهمية المحافظة على التوازن بين العقل والعاطفة. وأن للجانب العاطفي والوجداني قيمة دينية ونفسية كبيرة. ولكن له مجاله الذي يوظف فيه. ولا ينبغي أن يطغى على الجانب العقلي والفكري. ويحتل شيئًا من مجاله.

واسترخاء في العزيمة. وهيمنة الشعور باليأس من جدوى الأسباب في تحصيل التعافي وإحراز التغيرات الإيجابية. وهو ما عناه الحديث السابق بعبارة وجيزة جزلة: العجز والكسل.

والغموم إذا سكنت النفس وتواصلت عليها. أنتجت طباعاً خفزية وسلوكاً انقباضياً. أو بالعبارة النبوية: جبنًا وبخلًا: بخلًا بالأموال وتعطيلًا للطاقات والمواهب. وهذا التسلسل من الأمراض النفسية المتولدة عن الإحباط. يقود في النهاية إلى غلبة الدين وقهر الرجال. يعني تراكم التبعات وتسلط الأعداء.

فلا محيص إذن من بعث الهمم من سكونها. واستنشيط العزائم من كمونها. لمغالبة الآثار النفسية للأزمة. أولاً. واجتثاث روح اليأس التي استمكنت من فئة غير قليلة من الناس. وولدت لديهم حسباناً بأن حالة الضعف التي تمر بها الأمة. حالة مزمنة لا تقبل العلاج. وهذا هو الداء العضال الذي قد يغفل عنه بعض المحللين للأزمة. والباحثين في سبل تجاوزها. مركزين في ذات الحين على جوانبها المادية ومظاهرها الخارجية. ولا جرم أن للوسائل المادية والإمكانات الحسية أهميتها ومكانتها. ولكنها لا تغني شيئاً ما دامت في أيدي شلاء لا تنبض فيها أعصاب الإرادة. ولا يتمتع أصحابها بالأمل في التحسن والتحول نحو الأفضل:

وعادة السيف أن يزهي بجوهره

وليس يعمل إلا في يدي بطل  
فمن الضروري أن يركز في الخطاب الإسلامي الدعوي والتربوي. على تنمية الإرادة. وتعزيز الآمال والتطلعات في الضمير الفردي والجمعي للأمة. ومحاربة الظواهر الفكرية والسلوكية الخدلة المثبطة. التي تقزم الجهود النوعية الإبداعية ولا تحفل بالشخصيات الفاعلة. ومن الضرورة أيضاً توجيه النقد بحكمة وعقلانية لشريحة العطالة التي تقف من قضاياها وتفاعلاتها. مواقف سلبية لا تحسن فيها إلا التفرج. بلا شعور ولا ضمير. وللفئة المستتلية ثقافياً. المنهزمة نفسياً أمام الغرب وتفوقه المادي.

ويجدر أن تتجه عملية العلاج النفسي. ببعض محاورها. إلى إرشاد أولئك المتحرقين غيرة وشفقة على أمتهن. يريدون أن يفعلوا شيئاً يساهمون به في التخفيف من التحديات المحدقة بها. وإصلاح أحوالها الدينية والمادية. ولا يجدون من يدلهم على مواقع الحاجة إلى ما لديهم من خبرات ومواهب واستعدادات. فهم طاقة كامنة تحتاج إلى تنشيط وترشيد. فالضمير منهم حي. والإيمان بملأ كيانهن. والشعور بالمسؤولية حاضر في نفوسهن. ولكن تكمن



وأن من العدل والاستقامة توظيف كل منهما في مجاله.

### مكانة الإعلام وأهميته:

لا يجادل أحد في أن الإعلام أصبح له تأثير بارز في صناعة الرأي العام وتوجيهه وتغييره. فهو الذي يصنع الرأي والموقف تجاه أي قضية عامة من قضاياها، بما يقدم من معلومات في صيغ من التقارير والتحليلات، والشواهد الصوتية والمصورة، وخدمات الترجمة والدبلجة والتركيب. بل تعدى الإعلام التأثير في الرأي العام، ونفذ إلى الأعماق الفكرية والثقافية، وتخلل إلى الوجدان والشعور لتوسعه في مصادر المعلومات التي يقدمها في برامجه المتنوعة الموجهة لمتخلف الشرائح.

فالذي يملك هذه القوة الناعمة يملك مفاتيح الدخول إلى المجتمعات وتنميط السلوك لديها تجاه مختلف الشؤون العامة. ومن المؤسف أن المؤسسات الإعلامية الكبرى ليست بأيدي المسلمين. وفي الغالب هي التي تغذي المؤسسات الصغرى التي قد لا يكون لها في أصداء الأحداث وتحرير أخبارها، إلا التلقي وإعادة الإرسال. وتلك المؤسسات الكبرى ترتحن في رؤيتها ورسالتها وأهدافها. للجهات التي تمولها، وأكثرها عدائية في مواقفها من المسلمين وقضاياهم. تحرص على إخفاء محاسنهم وفضائلهم، وإظهارهم بصورة مشينة، لا تعرف إنصافاً ولا نزاهة، ولا تبالي بانتهاك حرمة الإنسان إذا تعلق الأمر بمسلم، ولا تتردد في الكذب وقلب الحقائق إذا اقتضت رغباتها البراغماتية، ونزواتها التعصبية.

وعلى هذا فالتعامل مع قضايانا من خلال نوافذ الإعلام التي كثيراً ما تكون هي الوسيط في علاقاتنا، وتساهم في توجيه الحوار غير المباشر بين فئات الأمة، لا يُجدي كثيراً في صناعة التفاعل الإيجابي مع أزماتنا ومشكلاتنا.

إن ما تعانیه أمتنا من استيائ وإحباط، من جراء النكبات والفتن والحن، يرجع في جزء كبير من أسبابه إلى الأثر الإعلامي السلبي في النفوس. ولو كان الإعلام الذي بأيدينا مدركاً لضرورة الحد من التأثير بغيره فيما يقدم، حريصاً على ربط رسالته بالدفاع عن حقوق الأمة وذاتيتها الحضارية، متحفظاً بما يخالف القيم الإسلامية في الشكل والمضمون من برامجه، لكان وسيلة من أهم وسائل التربية والتوجيه الاجتماعي، ومساهماً بقدر كبير من الجهود في التعريف بالقضايا الإسلامية، وسبل علاجها، وتخفيف التحديات، واحتواء الأزمات، وبث روح الأمل.

إن للأزمات إثارات إيجابية لدى أولى الفهم وأرباب الحكمة، ينبغي الانتباه لها، منها استيقاظ الضمير ووخزة الشعور

بالذنب والتأهب لمراجعة الأخطاء، وتعميق الفكر في التخلص من أسباب النكسات والنكبات، فإن الأزمات تلد الهمم، فمن الحصافة تحويل الأزمة إلى همة.

إن الضعف ليس عيباً في حد ذاته، لأن الإنسان قد لا يكون مسؤولاً عن أسباب ضعفه: بل تقع مسؤولية ذلك على أسرته التي تربي فيها، أو محيطه الاجتماعي المصغر، أو الظروف العامة التي تحكم البلد الذي يعيش فيه. وهذا الحال ينطبق أيضاً على الأمة بمجموعها، فالضعف الذي يعيشه الجيل الحاضر، نتيجة لأفراط من الضعف تراكمت عبر عدة أجيال خلت، فالمسؤولية نحو هذا الضعف، لا يتحمل منها جيلنا إلا ما تسبب هو فيه.

### الصراع مع العولة وجهود التحصن:

الأمة الإسلامية تخوض صراعاً شاملاً في معركة المحافظة على الذات وإعادة البناء، وأصعب ما في الصراع ذي الطبيعة الشمولية، أن المواجهة ليست مع عدو معين متحيز يمكن فيه تحديد إستراتيجية للمنازلة، إنه صراع مع العولة التي غزت كل المجالات وطبعتها ببصماتها، السياسة والإعلام والاقتصاد والفن والتعليم... وهي تُسوّق نفسها بوسائل من ذاتها، تجاوزت حدود الرقابة والتوجيه، واخترقت الخصوصية للدول والجماعات بل والأشخاص، وحولت المكنون المصون إلى مكشوف شاخص أمام العيون، من شبكة المعلومات الرقمية المتعددة الوسائط. والعولة تسعى لهدم أسوار أمام الخصوصيات الثقافية والاجتماعية، والترويج للقيم المادية النفعية، المجردة من الاعتبارات الخلقية، والقيم الروحية والمبادئ الإنسانية السامية التي أتت بها الشرائع ودعا إليها الحكماء والمصلحون، إذ هدف العولة تأسيس العلاقات الإنسانية على المبررات المادية التي تجد في الأسرة والدين والأخلاق، قيوداً تقليدية تمنعها من بلوغ مداها.

وقد وضعت هذه العولة أُم العالم بعضها مع بعض وجهاً لوجه، ولم يعد هناك مخابئ ولا حصون، ولا مكان للعزلة والحياد. وفي ذلك من الخطر ما لا يعلمه إلا الله.

ولسنا ننكر وجود درجة لا بأس منها من الحس العام تتمتع به الأمة، في إدراك الشر المستطير الذي حمّله العولة في طياتها، وتداعي ثلّة وافرة من صفوة أبنائها للبحث في تدابير التحصن ووقاية الأبناء والأسر والشباب، ولكن يبقى الدور الأكبر ملقى على كاهل المؤسسات الإعلامية، ومراكز الرصد والبحث والدراسات، وتنسيق جهودها مع مؤسسات التربية والتعليم، والتوعية الاجتماعية، في القيام بهذه المهمة الجليلة.

# نظرة في دفاع الشاعر الأندلسي عن الإسلام

بقلم: د. أمّنة بن منصور

الجزائر

أمراً مجوجاً و غير مقبول على الإطلاق كونه يتنافى مع شعائر دينه.

ولعل الأدب الديني بهذه الصفة يعد أقدم الآداب بالنظر لفطرة الإنسان على التدين بغض النظر عن حقيقة ما يدين به، فالمصادر التاريخية تشير إلى أن المصريين كان لهم باعٌ طويل في الأدب الديني «الذي تناول العقائد الدينية ونظرياتهم عن الحياة الأخرى وأسرار الكون والأساطير المختلفة للآلهة والصلوات والأناشيد. ومن أقدم أمثلة الأدب الديني نصوص الأهرامات و كتاب الموتى» (٢)

والأدب الديني عندنا مرتبط بدين الإسلام، بيد أنه لم يكن معروفاً بهذه التسمية كمصطلح و إن كان موجوداً على أرض الواقع. و لعله أول ما ارتبط بالدعوة إلى الله و نشر الإسلام في بداية ظهور البعثة النبوية، فقد كان الشعر إذ ذاك حرباً ثانية إلى جانب الحرب المسلحة، بل و قد شجع النبي -عليه الصلاة و السلام- شعراء المسلمين و على رأسهم حسان بن ثابت على هجاء الكفار و الرد على أشعارهم التي حاربوا بها الإسلام، فكانت الأبيات الحسانية الخالدة و منها:

قتال أو سباب أو هجاء

فنحكم بالقوافي من هجانا

و نضرب حين تختلط الدماء

لا ينكر أحد أن الإنسان ومنذ فجر التاريخ مرتبط بربه، مخلص لدينه أيّما كان هذا الدين أو ذاك المعبود، حتى إذا عُرض أو فرض عليه التغيير ثار و استنفّر قواه لمحاربة هذا البديل.

و الأدب مرآة الشعوب فهو يعبر عن تطلعاتها و يصوّر أحوالها و يتطرق إلى أعماق نقطة تخصصها، و هو لم ينكفئ على نفسه بل عبر عن أكثر الأمور حساسية تلك التي تتعلق بحياة الأمة و وجودها: إنه الدين، و هو ما أصبح يعرف بالأدب الديني.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا: «ألصقت به صفة (الدينية)؟ هل ذلك راجع لرؤية قائمة على مفهوم التوازي بين ما هو (ديني) وآخر (لا ديني)؟ كما هو الشأن في موضوع (الديني) و(الدنيوي)، خاصة ونحن نتعامل مع نص من إبداع الإنسان بفضل خياله الطافح وذوقه الرفيع، ومن ثمة ما هي الحدود التي لا يمكن لهذا النوع من الأدب ألا يتجاوزها؟ بخلاف (الأدب الآخر) الذي لا يعير اهتماماً لهذه القيود، وبذلك يمكننا النظر في مضمون هذا الأدب الديني عندما يحاول أي باحث في أي مجال أن يقف على لبنات الأساس الأولى، فهو بذلك يبحث في الأفكار والنظم والعادات التي شكلت النواة الأولى لذلك العلم أو الفن» (١). و تبقى الأحكام نسبية بحسب الأمة التي ينتمي إليها فما يُعدُّ عند شعب أمراً مقبولا باسم حرية التعبير، يعد عند شعب آخر



هجوتَ محمداً فأجبت عنه

و عند الله في ذاك الجزاء (٣)  
وفي العصر الأموي ارتدى الأدب الديني و الشعر خديداً  
ثوب التشيع لآل البيت. فأصبح كل محب للدين و مدافع  
عنه ينحو هذا المنحى. فكانت هاشميات الكميت ومنها  
قوله:

إلى النفر البيض الذين بحبهم

إلى الله فيما نابني أتقرب  
بني هاشم رهط النبي فإنني  
بهم و لهم أَرْضى مراراً و أغضب  
و أرمى و أرمي بالعداوة أهلها

و إني لأوذى فيهم و أؤنب (٤)  
و لما جنح كرسى الحكم لبني العباس انحسر ظل  
المتشيعين لآل البيت. و خفت أصواتهم خلف التهديد  
و التخويف. وفي مقابل هذا ظهر على الساحة شعر  
الزهد منكراً حياة المجنون و الانحلال الخلقي الذي عرفه  
المجتمع العباسي آنذاك. فكانت زهديات أبي العتاهية  
ومنها قوله:

أيا واهاً لذكر الله

يا واهاً له واهاً

لقد طيّب ذكر الله

له أفواهها (٥)

و قوله أيضاً:

الناس في غفلاتهم

و الموت دائرة رحاه

فالحمد لله الذي

يبقى و يهلك ما سواه (٦)

ثم ظهر غرض شعري كان تحصيلاً لمراحل تأملية عديدة  
مر بها الشاعر. من الزهد إلى فلسفة الدين ثم التصوف.  
وفيه تفرغ تفرغاً كاملاً لله عبادة و ارتقاء إلى ملكوته .  
وفي بلاد الأندلس كان الشعر الديني قد قطع أشواطاً  
عدة. فقد وصل إلى مرحلة متقدمة من النضج  
والتطور. و وجد الأندلسي أمامه خلاصة جارب الآخرين  
و أفكارهم وتوجهاتهم.

وقد ذهب أكثر الدارسين إلى القول إن «شعب الأندلس  
شعب متدين. و المنفلتون فيه من ربة الإيمان قلة و هم  
لتدينهم يجلسون علماء الدين و يحترمونهم ، و يعظمون  
الفقهاء و يوقرونهم» (٨). كما «كان الأدب الأندلسي أيضاً  
يتنفس في جو من التشيع الديني و هو ما يظهر في

أشعار الزهاد والأتقياء» (٩). و من هؤلاء نذكر على سبيل  
المثال السمسير في قوله :

جملة الدنيا ذهاب

مثل ما قالوا سراب

و الذي منها مشيد

فخراب و يباب

فاتق الله و جنب

كل ما فيه حساب (١٠)

ومهما يكن فالإسلام في المشرق لم يتعرض لهجوم حاد  
على اعتبار أنه مهتد الأول. بخلاف الأندلس التي دخلها  
الدين الإسلامي مع الفاحين. فضلا عن بعدها الجغرافي  
عن أرض العرب و مهد الرسالة. و يضاف إلى هذا كله  
احتوائها إثنيات مختلفة و إيديولوجيات متباينة مردها  
الأديان التي تعايشت في ظل سماحة دولة الإسلام في  
الأندلس.

وما يعيننا في كل هذا هو الدور الفعال الذي أدته  
القصيدة الأندلسية في الدفاع عن الإسلام أمام تطاول  
المسيحيين واليهود على حد سواء.

ومن حدثته نفسه أن يسخر من القرآن ابن النغريلة  
اليهودي (\*) الذي ألف كتاباً يدعي فيه أن هناك تناقضاً  
بين آي القرآن الكريم (١١) . فوقف له ابن حزم بالمرصاد ورد  
عليه كلامه و دحض حججه واحدة واحدة (١٢) .  
و يضيف قائلاً:

أباديس أنت امرؤ حاذق

تصيب بظنك نفس اليقين

فكيف اختفت عنك أعيانهم

و في الأرض تضرب منها القرون

و قد أنزل الله في وحيه

يحذر عن صحبة الفاسقين

و كيف استنمت إلى فاسق

و قارنته و هو بيس القربى (١٥)

وبنبرة عتابية يخاطب باديس مستنكراً كيف خانت  
حنكته و استأمن هذا اليهودي على أمور البلاد و العباد.  
كيف و قد جراً على السخرية من القرآن و المسلمين؟  
يقول:

و يضحك منا و من ديننا

فإننا إلى ربنا راجعون

فبادر إلى ذبحه قرية

و ضحّ به فهو كبش سمين



ولا ترفع الضغط عن رهطه  
فقد كنزوا كل علق ثمين  
ولا تحسبن قتلهم غدرة  
بل الغدر في تركهم يعبثون  
وقد نكثوا عهدنا عندهم  
فكيف تلام على الناكثين؟  
وراقب إلهك في حزبه  
فحزب الإله هم الغالبون (١٦)

وقد أحدثت هذه القصيدة ضجة منقطعة النظير. يقول غرسية غومث « لا نعرف إلا في القليل النادر أن أبياتاً من الشعر لعبت دوراً سياسياً مباشراً في التاريخ السياسي لأمة من الأمم. فكهربت العزائم و دفعت به في سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق. و شحذت السيوف للقتل. كالدور الذي لعبته هذه القصيدة » (١٧). و الواقع أن القصيدة لم تحرك الحس السياسي لدى العامة بقدر ما حركت فيهم الغيرة على الدين.

«و يبدو أن صوت رسالة الإلبيري قد ظل قوياً في الصدور. ولم يخفت صداه لدى مسلمي الأندلس فيما تلا ذلك من حقب. لأن اليهود كانوا يشكلون دائماً مصدر توجس و إزعاج طيلة فترة الحكم العربي الإسلامي بالأندلس» (١٨).

و مهما يكن فإن فعل ابن النغريلة كان انفرادياً مبعثه الحقد على هذا الدين و على المسلمين ، و لم يكن هدفه نشر تعاليم اليهودية بخلاف بعض المسيحيين الذين أرادوا ضرب الإسلام و نشر دينهم بين المسلمين في الوقت نفسه. و من الأساليب التي كانوا يلجؤون إليها تقديم الشبهات بين يدي المسلم و محاولة زعزعة إيمانه و تعجيزه. و مثال ذلك ما قام به أحدهم و قد أطلق على نفسه اسم الذمي المتحير. فقال:

أيا علماء الدين ذمي دينكم  
خير دُلوه بأوضح حجة  
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم  
و لم يرضه مني فما وجه حيلتي  
قضى بضاللي ثم قال: ارض بالقضا  
و هل أنا راض بالذي فيه شقوتي  
دعاني و سد الباب دوني فهل إلى  
دخولي سبيل بينوا لي قضيتي  
إذا شاء ربي الكفر منه مشيئة  
فهل أنا راض باتباع المشيئة (١٩)

تتضمن هذه الأبيات تشكيكاً واضحاً في العدالة الإلهية. وما هي إلا صدى لصيحات الفلسفة القائلة: هل الإنسان مخير أم مسير؟ و هل أفعاله بإرادته أم مفروضة عليه؟ والذمي يؤمن بالأخيرة فكيف يسبق في كتاب الله أنه كافر ثم يحاسب على كفره و يطالب بالتسليم بالقضاء الذي فيه شقاؤه؟

و قد أجاب هذا الذمي الشيخ ابن لب فقال :  
قضى الرب كفر الكافرين و لم يكن  
ليرضاه تكليفا لدى كل ملّة  
نهى خلقه عما أراد وقوعه  
و إنفاذه و الملك أبلغ حجة  
فنرضى قضاء الرب حكما و إنما  
كراهننا معروفة للخطيئة  
دعا الكل تكليفا و وفق بعضهم  
فخص بتوفيق و عم بدعوة  
فتعصى إذا لم تنتهج طرق شرعه  
و إن كنت تمشي في طريق المشيئة  
وما لم يرد الله ليس بكائن

تعالى و جل الله رب البرية (٢٠)

إن الله تعالى - و هو العدل- دعا الناس جميعاً لعبادته و أرسل إليهم الرسل مبشرين و منذرين. و إن كان وفق بعضهم إلا أن الدعوة إلى الله كانت عامة بلا استثناء. كما أن الله تعالى أمرنا باجتناّب المعاصي فكيف يعصى الإنسان و هو يعلم أن معصيته ستؤدي به إلى الهلاك ، ثم يعلق كل شيء بالمشيئة الإلهية ؟

ولم يقتصر دور القصيدة الأندلسية على الدفاع عن الدين فحسب. و بخاصة بعد إيدان بسقوط الأندلس قريب. فأمام اكتساح المسيحيين « لأهم المدن الأندلسية ... لم يجد المسلمون بدا من البحث عن بديل آخر. فاتخذوا لهم ميمماً الديار المقدسة .. طالبين التطهر من أدران الذنوب.. خصوصاً في العهد الموحد. حيث سيبرز أكبر شعراء متصوفي الأندلس كابن عربي و ابن سبعين و الششتري وأبي العباس المرسى و غيرهم كثير» (٢١)

و قد أدى الرمز دوراً فاعلاً في التعريف بالدين الإسلامي و بيان فضله على باقي الأديان. و يصدق هذا ما فعله الششتري في حوار مع القس (٢٢). يقول:

سألت عن الحمار أين محله  
و هل لي سبيل للوصول به أم لا

فقال لي القسيس ماذا تريده  
فقلت أريد الخمر من عنده أملا  
فقال و رأسي و المسيح و مريم  
و ديني و لو بالدر تبذل به بذلا  
فقلت له دع عنك تعظيم وصفها \*\*فخمرتكم أغلى  
وخرقتنا أعلى  
على أننا فيها رأينا شيوخنا  
و فيها أخذنا عن مشايخنا شغلا  
و فيها لنا العذال لاموا و أكثروا  
و آذاننا في لبسها تترك العذلا  
فلما لبسناها و همنا بحبها  
تركنا لها الأوطان و المال والأهلا (٢٣)  
عباءة الشاعر أو كما سماها خرقته هي أغلى من خمرة  
القسيس. لأنها رمز التدين و التصوف و هي « علامة  
الزهد في الدنيا و الطلب للآخرة.. إنه لباس التقوى الذي  
على كل مريد سالك أن يحترمه » (٢٤) و يبدو أن الشاعر  
استطاع أخيرا أن يغري القسيس الذي بدا متلهفاً على  
هذه الخرقه فقال:  
فقال عسى تلك العباءة هاتها  
فقد أثبتت نفسي لها الصدق و العدلا  
فقلت له إن شئت لبس عبايتي  
تظهر لها بالطهر و اضح لها أهلا  
وبدل لها تلك الملابس كلها  
ومزق لها الزنار و اهجر لها الشكلا (٢٥)  
فالششتري لما رأى تعلق القس بالعباءة عرض عليه أن  
يترك ما هو فيه. و يتطهر ليكون أهلا لها. و قد رضي  
أخيراً ومنحه الخمرة التي أراد:  
فدونك خمري قد أبحتك شربها  
و ناولنيها في أباريقها جلى  
فقلت له ما هذه الراح مقصدي  
و لا أبتغي من راحكم هذه نيلا  
ولكنها راح تقادم عهدها  
فما وصفت بعد و لا عرفت قبلا  
أقر بأن الله لا رب غيره  
و أن رسول الله أفضلهم رسلا  
عليه سلام الله ما لاح بارق  
و ما دام ذكر الله بين الوري يتلى (٢٦)  
و يبدو أن القسيس لم يفهم مراد الششتري فمنحه  
خمرا معتقة. و لكن ما ذاك أراد الشاعر. إذ إن  
للمتصوفة «آدابا مخصوصة بهم و اصطلاحات في  
ألفاظ تدور بينهم» (٢٧). فالخمر عندهم تلك النشوة

التي يشعرون بها و قد وصلوا إلى أعلى درجات الصفاء  
الروحي بعد التجرد التام من الدنيا. و كما يبدو أراد  
الشاعر أن يقنع القس بترك دينه واعتناق الإسلام بهذا  
الأسلوب.  
والأندلسي الغيور على دينه لم يواجه أعداء الإسلام من  
نصارى و يهود فحسب. بل واجه بني جلدته من كانوا  
يتعاطون الفلسفة التي يراها عدواً لا يقل شراسة  
عن الأعداء التقليديين. و لعلاها تفوقهم جميعا كون  
المقبلين عليها مسلمين مما يسهل على الآخرين التأثر  
بهم وبأفكارهم. فلقد حذر الكلاعي ابنه من الفلسفة  
فقال:  
وفلسفة الفلاسفة اجتنبها  
يجعجعن الكلام و لا طحيننا  
و تنقض في الأصول بكل شرع  
و ما هم عندنا بمشرعينا (٢٨)  
ولم يقتصر الشاعر الأندلسي على الدفاع عن دينه  
فحسب. بل نراه يحمل الحكام و الناس على حد سواء  
مسؤولية سقوط مدن الأندلس تباعا. بعد أن ابتعدوا  
عن دينهم. و انغمسوا في الملذات الدنيوية. و هو ما عبر  
عنه الفقيه الزاهد ابن العسال غداة سقوط بربشتر إذ  
قال:  
ولقد رمانا المُشركون بأسهم  
لم تُخطِ لكن شأنها الإضماء  
ماتت قلوبُ المُسلمين برُعبهم  
فحمأننا في حربهم جبناء (٢٩)  
و يقول أيضا :  
لولا ذنوبُ المُسلمين و أنّهم  
ركبوا الكبائر ما لهنّ فناء  
ما كان ينصرُ للنصارى فارسُ  
أبدا عليكم فالذنوبُ الداء (٣٠)  
ويصور الشاعر المجهول الذي رثى طليطلة أسباب  
سقوطها و المتمثلة أساسا في الإقبال على الملذات.  
والشهوات. فيقول:  
أنأمن أن يحل بنا انتقام  
و فينا الفسق أجمع والفجور  
وأكل للحرام و لا اضطرار  
إليه فيسهل الأمر العسير  
يزول الستر عن قوم إذا ما  
على العصيان أرخبت السُّتور (٣١)  
هكذا أدت القصيدة الأندلسية دورا فاعلا في الدفاع  
عن الدين و رد الشبهات عنه. و بيان فضله على سائر



الأديان. وعكست مدى تعلق الأندلسي بدينه و غيرته عليه  
غيرة يندر وجودها بالنظر إلى الظروف الخاصة التي مرت  
بها الأندلس.

#### الهوامش و الإحالات :

- ينظر : من المنظور الإسلامي : محمد الكتاني ، دار  
الثقافة ، ط ١ ، ١٩٨٧ : ١٦

١- عن مقال : الأدب الديني التأسيسي و الموضوع و المنهج  
لعلاء عبد الخالق المندلاوي ، مجلة التأخي : عنوان :

Badirkhansindi@yahoo.com

knouz1.a3a3.com/vb/showthread.php?t=23572- نقلًا  
عن موقع

٣- ديوان حسان بن ثابت ، مطبعة المحمدية ، المغرب : ٥٨

٤- ديوان الكميت بن زيد الأسدي ، خ : محمد نبيل طريفي  
، دار صادر بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ : ٥١٥-٥١٦

٥- ديوان أبي العتاهية ، دار بيروت للطباعة و النشر ، ١٩٨٦ ،  
٤٥٩

٦- نفسه : ٤٦١

٧- ديوان الحلاج : جمع المستشرق الفرنسي لويس  
ماسينيون : ٢٤

٨- الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه : مصطفى  
الشكعة : دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤ : ٧٣

٩- ينظر : دراسات في الأدب الأندلسي : إحسان عباس  
، و داد القاضي ، ألبير مطلق ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا /  
تونس ، ١٩٢٦ : ١٠

\*\* - ورد في مغرب ابن سعيد : ابن نغرله و في ذخيرة ابن  
بسام : ابن الغريلى و عند دوزي : ابن نغداله و في الأصل  
المخطوط من رسائل ابن حزم ابن النغريلة - ينظر : رسائل  
ابن حزم - خ : إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسة  
و النشر ، ط ١ ، ١٩٨١ : ٥٧

هذا و قد « ذهب كثير من الناس إلى أنه لم يكن على دين  
آبائه و أجداده ، و أنه كان مستهترا يحتقر

الأديان جميعا [خاصة] الدين الحمدي [الذي] كان يجهر  
بالغض منه ، و يعيب أحكامه » - ينظر :

ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام : دوزي ، مطبعة  
عيسى الحلبي و شركاه ، مصر ، ١٩٣٣ : ١٦٣

١٠- الذخيرة في محاسن الجزيرة : ابن بسام الشنتريني ، خ :  
سالم مصطفى البدي ، دار الكتب

العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٨ : ١ : ٥٥٦

١١- ينظر : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب : ابن  
عذاري ، دار الثقافة ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٠ : ٣ : ٢٦٥ ، هذا و قد  
تضاربت الآراء حول من سخر من المسلمين أهو إسماعيل

أم يوسف؟ و لكن المؤكد أن من قتل بسبب ثورة العامة  
هو يوسف .

١٢- ينظر : رسائل ابن حزم : ٣ : ٤٣ و ما بعدها

١٣- ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، خ : محمد رضوان الداية ،  
دار الفكر المعاصر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩١ : ١٠٨

١٤- نفسه : ١٠٩

١٥- نفسه : ١٠٩-١١٠

١٦- نفسه : ١١١

١٧- مع شعراء الأندلس و المتنبي : إميليو غرسيه غومث  
، تعريب : أحمد الطاهر مكّي ، دار المعارف ، ط ٢ ، مصر ،  
١٩٧٨ : ١٠٥

١٨- في الأدب الأندلسي : أشرف نجّا ، دار الوفاء ، ط ١ ،  
الإسكندرية ، ٢٠٠٦ : ٨١

١٩- ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية : عبد الحميد  
عبد الله الهرامة ، جامعة عبد الملك السعدي ، تطوان ،  
١٩٩٣ : ٩٤

٢٠- نفسه : ٩٥

٢١- الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة طحطح ،  
منشورات كلية الآداب بالرباط ، ط ١ ، المغرب ، ١٩٩٣ : ٢٩٨

٢٢- جذر الإشارة بداية إلى أن حوار الششتري مع القسيس  
قد يكون حقيقيا و قد لا يكون كذلك « فاللغة الصوفية

هي باستمرار رمزية و لم تكن قط حرفية ، فهي بغير شك  
لغة مجازية يستخدمها المتصوفة للتعبير عن تجاربهم

«- التصوف و الفلسفة : ولترستين ، ترجمة : إمام عبد  
الفتاح ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩ : ٣٥٤

٢٣- ديوان الششتري ، خ : علي سامي النشار ، دار المعارف ،  
ط ١ ، الإسكندرية ، ١٩٦٠ : ١١-١٢

٢٤- التصوف الأندلسي : محمد العدلوني الإدريسي ، دار  
الثقافة ، ط ١ ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٥ : ٣٣٦

٢٥- ديوان الششتري : ١٢

٢٦- نفسه : ٦٣

٢٧- مقدمة ابن خلدون ، شرح : محمد الإسكندراني ، دار  
الكتاب العربي ، لبنان ، ٢٠٠٦ : ٤٣٣

٢٨- المناظرة في أصول التشريع الإسلامي : مصطفى  
الوظيفي ، مطبعة فضالة ، المغرب ، دط / دت : ١٥٠

٢٩- الروض المعطار : الحميري ، مجلة التأليف ، مصر ١٩٣٧ :  
٤٠ و ما بعدها

٣٠- نفسه : ٤٠ و ما بعدها

٣١- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد  
المقري ، تقديم : مريم قاسم الطويل ، يوسف علي الطويل ،  
دار الكتب العلمية ، ط ١ ، لبنان ، ١٩٩٥ : ٦ : ٢٤٠





# الرافعي

## أديب العربية والإسلام

أ.د. كمال سعد محمد خليفة

كلية البنات الإسلامية - جامعة الأزهر بأسبوط

التجديد والتحديث!

كان الرافعي واحدًا بين أدباء عصره ومفكره. ذهب يتحرك في إطار رؤية تسعى لأن يكون الأدب الجديد الذي يدعونه «حقيقة مسكونة بالهيم العربي والألوان العربية. وبالصرع الذائب من أجل إيجاد الكائن العربي. والعصر العربي». (عمالقة عند مطلع القرن ص: ١٢٥ عبد العزيز المقالح).

من ثم، راح يحفز العرب إلى إحياء ماضيهم. وصيانة تراثهم والاعتداد بذواتهم. والانعتاق من الانسحاق تحت بريق التقدم. أو السقوط في الانهزامية. أمام النموذج الوافد. مع الاستفادة من معطياته الحضارية. والتناسل معها بالقدر الذي لا يهدر خصوصيتنا وقدراتنا ومعطياتنا الحضارية والإنسانية. التي ليس لغير الأدب أن يجليها في إبداعه الأصيل. «إذ الأدب يشبه الدين: كلاهما يعين الإنسانية على الاستمرار في عملها. وكلاهما قريب من قريب». (وحي القلم للرافعي: ١٧٤/٣).

بهذه الرؤية الحضارية يحاول الرافعي أن يشجع بابا للإبداع الأدبي صوب الجمال والحسن بمفهومهما الشامل العام. الذي يدفعنا نحو التعلق بهذه الطاقات الإبداعية. التي تفرزها جارب الأدباء المخلصين لحرفة الأدب. ولتصور إنساني أصيل. يحذب على فريدة الإنسان وخضرة الفاعل / المتفاعل مع المجتمع. والتماس مع همومه وقضاياها. والمشتبك مع آلامه وآماله. يفرز من تجاربه. وخبراته. وثقافته. ورؤيته. وي طرح من خياله ما يحيل كل ذلك إبداعًا متفردًا. ومتحركًا نحو البناء والإمتاع. ومتحررًا من كل ما يعيق انطلاقته الكبرى نحو الأفاق التي تتصل فيها وعبرها الأرض بالسماء. فالأدب كما يقول الرافعي: «خالق الجمال في الذهن والممكن للأسباب المعينة على إدراكه. وتبين صفاته ومعانيه. وهو الذي يقدر لهذا العالم قيمته الإنسانية. بإضافة الصور الجميلة إليه. ومحاولته إظهار النظام المجهول في متناقضات النفس البشرية. والارتفاع بهذه النفس عن الواقع المنحط المجتمع من غشاوة الفطرة وصولاً الغريزة. وغرارة الطبع الحيواني». (وحي القلم ص: ١٧٤/٣).

كان للأديب مصطفى صادق الرافعي ما لم يكن لغيره من معاصريه. من سمات إنسانية. للأديب المسلم. القيم على

يقول الأديب المعروف مصطفى صادق الرافعي في كتابه وحي القلم: «إذا قيل ما الأدب؟ فاعلم أنه لا بد معه من البيان: لأن النفس تخلق فتصوّر فتحسن الصورة. وإنما يكون تمام التركيب في معرضه وجمال صورته ودقة لحاته. بل ينزل البيان من المعنى الذي يلبسه منزلة النضج من الثمرة الحلوة. إذا كانت الثمرة وحدها قبل النضج شيئًا مسمى أو متميزًا بنفسه. فلن تكون بغير النضج شيئًا تامًا ولا صحيحًا. وما بُدَّ من أن تستوفي كمال عمرها الأخضر الذي هو بيانها وبلاغتها...». (١٧٠/٣).

«أما الغرض الأول من الأدب المبين أن يخلق للنفس دنيا المعاني الملائمة لتلك النزعة الثابتة فيها... وأن يلقي الأسرار في الأمور المكشوفة بما يتخيل فيها. ويرد القليل من الحياة كثيرًا وافيًا بما يضاعف من معانيه. ويترك الماضي منها ثابتًا قارًا بما يخلد من وصفه. ويجعل المؤلم منها لذي خفيفًا بما يثبت فيه من العاطفة. والمملول متعا حلوا بما يكشف فيه من الجمال والحكمة». (١٧٠/٣).

ومن أقواله أيضًا: «... في عمل الأديب تخرج الحقيقة مضافا إليها الفن. ويجيء التعبير مزيدا فيه الجمال. وتتمثل الطبيعة الجامدة خارجة من نفس حية. ويظهر الكلام وفيه رقة حياة القلب وحرارتها وشعورها وانتظامها ودقها الموسيقي: وتلبس الشهوات الإنسانية شكلها المذهب لتكون بسبب من تقرير المثل الأعلى. الذي هو السر في ثورة الخالد من الإنسان على الفاني. والذي هو الغاية الأخيرة من الأدب والفن معًا: وبهذا يهب لك الأدب تلك القوة الغامضة التي تتسع بك حتى تشعر بالدنيا وأحداثها مارة من خلال نفسك. وتحس الأشياء كأنها انتقلت إلى ذاتك من ذواتها...». (وحي القلم للرافعي: ١٧١/٣).

بهذه المقاطع الثرية الموحية. يعزف الرافعي على قيثارته أهازيج الجمال. فتطفر بآيات الحسن والإلهام وأمارات العبقرية. في تشكيل رؤيته عن الأدب ووظيفته في الحياة. في الوقت الذي وظفه كثير من معاصريه لإثارة النعرات. وتصدير الحماقات. والعزف على الغرائز والشهوات. بل سلكه بعضهم سيفًا يمانيا لبتري ما يصل الأمة بتراثها ولغتها ودينها. وهدم حصون أصالتها. وإراقة دماء عراقتها على مذبح الهيكل الذي تعبدوه:

دينه، والغيور على قوميته، وبلاغة لغته، وعبقرية وسحر أدبها وعراقه إبداعها، وجمال نسجها الذي أغراه: لينسج عبر طاقاتها الجمالية أفكاره، ورؤاه وتصوراته المنبثقة عن التصور الإسلامي الذي تعتنق فكره، ويزهو بسمو رؤيته، لما يعالجه من قضايا وي طرح من مشكلات ... فكان الرافعي وإبداعه غاية في الإبداع والبلاغة والبيان، صيغت في أشكال تعبق بالأمل والدعوة إلى الحب، والخير، والإصلاح، والجمال، في الوقت الذي كانت تعزف آلات المناوئين له ألحان اليأس والبؤس والتخلف والانحطاط!

بهذه الخصائص التي اجتمعت لهذه النفس الصادقة والموهبة المؤمنة الفريدة، تميز الرافعي في أدائه الإبداعي في عالم الأدب والفكر والبلاغة، فكان أسلوبه يجمع الفضائل الكتابية في اللغة والخيال، وفي البيان والفصاحة... فكان أدبه «حكمة عالية مصوغة في أجمل قالب من البيان» (حياة الرافعي، ص: ٣٦، للأستاذ سعيد العريان)، حتى ليقال: «كان في أسلوب كتابته ومنهج تفكيره، يعلو على طاقات الفهم عند كثير من الناس، حتى عند هؤلاء الذين رزقوا نصيباً من الفهم والإدراك» (مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً ص: ١٠٩ - الدكتور مصطفى الشكعة).

بهذه المسؤولية الفكرية والإبداعية، وضع الرافعي أساس مدرسة الأصالة في الأدب العربي المعاصر، فدأب على ربط الأدب بالفكر الإسلامي، وحماه من النزعة الوافدة الداعية إلى الكشف والإباحية (الأدب الداعر) .. فما يزال فكره الإبداعي/القرآني/النبوي متألقاً، وما تزال القضايا التي فجرها في إبداعه، وزخرت بها معاركه الأدبية قائمة، فما تخبو إلا لتطل من جديد، وإن تزيت أزياء جديدة وقشيبية، تدعو أصحاب الأقلام من أبناء الأمة الخالصين، إلى الجاهدة، والمناصرة بالفكر المستنير، والعمل الخالص الجاد، المنبثق عن العقيدة الإسلامية، وتصورها لهذه القضايا، في أسلوب أدبي رائع، يجمع بين جمالية الشكل، وإسلامية المضمون .. حتى يلقى القبول والرضا لدى المتلقين الذين كادت السبيل (مناهج التعبير المنحرفة)، أن تتفرق بهم عن السبيل المستقيم، الذي دعا إليه الإسلام في قول الله الكريم: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» (سورة الأنعام آية: ١٥٣).

بهذا التفكير المنهجي للأدب، في العملية الإبداعية عند الرافعي، استحق أن يكون رائداً للأدب الإسلامي في العصر الحديث، حيث إنه قد أخذ نفسه بالعزم على معالجة قضايا المسلمين والتعبير عن آلامهم، وآمالهم، فشغل نفسه بالإسلام والمسلمين: بالدفاع عن همومهم،

وقضايا عقيدتهم، والذب عن جمال لغتهم، وجلال قرآنهم، والكشف عن جوهر حضارتهم التي تكمن في جوهر الإسلام الصافي، ورؤيته السديدة في معالجة كل هذه القضايا وتلك المشكلات.. فكان الرافعي كلمة إسلامية جامعة، تتلخص في الدعوة الصادقة إلى الإسلام، وقيمته، وفضائله، في عالم الأدب، والفكر، والإبداع مما تمخضت عنه أفكار وثقافات وفلسفات العصر الحديث .. «كان شاعراً، وكاتباً، وأديباً، وعالماً ومؤرخاً؛ ولكنه بكل أولئك، وبغير أولئك، كان شيئاً غير الشاعر والكاتب والأديب، وغير العالم والمؤرخ؛ كان هبة الله إلى الأمة العربية المسلمة في هذا الزمان، لينبئها إلى حقائق وجودها، وليردها إلى مقوماتها، وليشخص لها شخصيتها التي تعيش باسمها ولا تعيش فيها، والتي تعتز بها ولا تعمل لها (حياة الرافعي ص: ٥، ٦ / للعريان).

وُلد مصطفى صادق الرافعي في شهر يناير من عام ١٨٨٠م، في (بهتيم) إحدى قرى محافظة القليوبية بمصر، وُلد في أسرة عريقة يشغل أكثر أبنائها بالقضاء الشرعي حتى يقال: أوشكت وظائف القضاء والفتوى في وقت ما أن تكون مقصورة على (آل الرافعي)! حيث اجتمع منهم أربعون قاضياً في مختلف المحاكم المصرية مما أثار قلق اللورد كرومر فكتب بذلك في تقاريره إلى وزارة الخارجية البريطانية (الرافعي ومي ص: ٧ عبد السلام هاشم عبد الحافظ، بتصرف).

في بيت جده لأمه الشيخ (الطوخي)، وضعت الأم هذا الطفل، وهي لا تدري أنها تقدم للإنسانية مفكراً وفيلسوفاً وأديباً من الطراز الفريد، وما أن بلغ السنة الرابعة من عمره حتى بدأ يعلمه والده الشيخ (عبد الرزاق) رئيس المحكمة الشرعية بطنطا - بعدئذ - أوليات القراءة والكتابة والإنشاء وحفظ القرآن الكريم، وبعد أن تقدم أخذ يعلمه اللغة الفرنسية، وظل هكذا يجتهد وينبت نبوغه وتفوقه في تلقي المعارف المختلفة حتى أصيب بعد ذلك بمرض «التيفوئيد» واشتد عليه، فنال من أعضائه: سَمْعُهُ، وصوته حتى أذهب سَمْعُهُ، وهو على أعتاب العقد الثالث من عمره الخصب.

بهذا، أصبح الرافعي في عزلة عن العالم، ووقفت به هذه العقبات عن التعليم ولكنه أثر العزلة، وأجّه اتجاهها آخر أكثر ملائمة لنفسه التواقة إلى العلم والمعرفة، وأرضى لميوله الشخصية المنفتحة للاطلاع والتحصيل العلمي، فذهب ينقف نفسه بنفسه، حتى غدا الكتاب سميره وصديقه، وانقطع للإطلاع على الكتب في مكتبة والده؛ ليحقق لنفسه ثقافة لازمة لأديب كان يرجو أن يكون، وكان دائماً يحدث نفسه بقوله: «إذا كان الناس يُعْجِزُهُمْ أن يُسَمَّعُونِي فَلْيَسَمَّعُوا مِنِّي...!» (الرافعي ومي ص: ٧ عبد السلام هاشم عبد الحافظ، بتصرف).



انصرف الرافعي إلى التراث الأدبي العربي والإسلامي يقرأ ويفكر. ويحفظ ويستظهر لمدة ثماني ساعات يوميا . فاستطاع أن يصل إلى قدر من الثقافة العربية والإسلامية ما أعانه على الإبداع . وأفسح له مكانا بارزا بين كبار الكتاب حتى اليوم . بل تضعه على رؤوس الجميع . تشهد بهذا كتبه التي دمجها قلمه . وأدبه الذي أفرزته موهبته في كل الميادين . وجأه كل القضايا التي كانت تشغل مجتمعه الفكري والثقافي والأدبي والحضاري . التي كانت تشعل معاركه مع رواد جيله من المفكرين والأدباء !! . مما خلف تراثا نقديا وإبداعيا لكبارهم أثنى حركة النقد . وأغنى حقل الإبداع . بكثير من نتاج هذا العراك . والالتحام بينه وبين العقاد وطه حسين وسلامة موسى . وغيرهم من الأدباء والمفكرين . وبهذا اكتسب الأديب وإبداعه الأدبي الإنساني الحياة . حتى وإن مات كاتبه !! .

تهيأت مجموعة من البواعث صنعت من الرافعي أديبا مرموقا . فكان كالماسية يشع ضوءه في جميع الاتجاهات . وساعدته على الإبداع بفنه في جميع الموضوعات والقضايا السياسية والاجتماعية والفكرية . فكان إبداعه يمتلئ بالتجارب الإنسانية الخصبة . والعواطف المتأججة . التي تجيش بها الأحاسيس المرفهة . فكان أدبه صورة له . ولقضايا مجتمعه وهموم وأمال وآلام أمته . وما يمور فيهما من آلام لم تبرحه . (الفنان هو نفسه مضمون فنه . وفنه فيض تلقائي من ذاته) . يفجر كل ذلك عبر الكلمة المشحونة بالتوتر والألم . ينهل من ينبوع الإيمان والعقيدة الراسخة . ملتزما الرؤية الإسلامية في معالجته . فكان إبداعه الأدبي ترجمة حقيقية . لما يحس به من مشاعر ومعاناة نفسية . حملته على هذا الإبداع . وألهبت قريحته بما يزيد من بريقها وجمالها لدى المتلقين ..

كان لأسرة الرافعي انتماءها الأصيل للثقافة الإسلامية والعلم والفكر والأدب . فلا شك في أن هذا الميراث من الثقافة الإسلامية والثراء الفكري والأدبي لثقافي أسرة الرافعي طبع الرافعي في سلوكه الفكري والاجتماعي بالطابع الإسلامي . بما كان له عظيم الأثر في إبداعه .

تربى الرافعي في كنف بيئة دينية . فقد كان يسكن في صباه (طنطا) حيث يوجد الجامع الأحمدى . وكان الرافعي على صلة روحية بهذا الجامع / المعهد العلمي في مسقط رأسه . فإذا صلى بالمسجد جلس تحت قبته ساعات خاشعا مطرقا يتمتم بالدعوات ويتلو القرآن الكريم .. لكنه وبرغم هذا كان متشدداً لدرجة قصوى فيما يمس العقيدة والدين . مهما كان صغيرا أو حتى هينا!

فإذا جمعنا عامل الوراثة . إلى البيئة الاجتماعية . والمناخ الديني . استطعنا أن نتعرف على فكره . وإبداعه .

الموهبة والاستعداد الفطري اللذان يميزان الأديب عن غيره من الناس . هبة من الله يميز بها شخصاً ما دون الآخرين! وهي (أشبه بالغرائر النفسية التي ركبت في الإنسان

المزاويل لعملية الإبداع) . يستطيع تعليتها أو السمو بها . ولا يستطيع إزالتها أو القضاء عليها . ومعنى أنه استعداد فطري . أنه يولد مع صاحبه . وبها معه ما عاش . وأنه لا يمكن أن يُنال بالتنقيف أو التعليم أو التحصيل . وإنما هو ملكه . راسخة في أعماق صاحبها . تصدر عنها أعماله . وتشكل إلى جانب ثقافته هوية فكره وسلوكه ورؤية إبداعه .

تلك الملكة التي وهبه الله إياها . تثار بتجربة ما . أو حدث . أو قضية تشكل معاناة للمبدع . فيتدفق هذا التأثير أو إبداعا . يستمتع به المتلقون . وكلما كانت المعاناة أعمق: كان الإبداع أكثر صدقا وأشد وقعا في النفس . وأنقى شدوا وتغريدا في آفاق الحياة بشتى ألوانها! فترقى في هذه التجربة إلى درجة الفن ... الفن الصادق الذي يسمو بالإنسان ويرتقي به إلى مقامات الإنسانية العليا .

فهذا الاستعداد وهذه الفطرة/الموهبة . صنعا من الرافعي أديبا لا يبارى . فقد كانت نفسه تنفعل بما يقع حوله من أحداث . ويستثار إذا ما وقعت عينه على ما لا يقنعه . ويمثل تجربة ذاتية للأديب . حيث كانت نفسه تستجيب لمراي الجمال في الطبيعة . حتى إنه في صباه عرف فتاة حسناء اسمها (عصفورة) ففاضت مشاعره بما اعتمل في نفسه . فراح يروّض الشعور حتى أسلس له القياد .

لرافعي في هذا الجانب العاطفي أسفار رائعة من الإبداع شعرا ونثرا . فإلى جانب قصائده التي تغنى فيها بحب محبوباته . له باقات من النثر العاطفي الرقيق ربما ضاقت قصائد الشعر عن استيعابها! سجل عبرها تجاربه العاطفية مع حبيباته اللاتي أثرن شجونه وملكن وجدانه . وحركن عاطفته نحوهن! فكان أجمل نثر عربي ربما لم يسبق إليه في الأدب الحديث . فكان: أوراق الورد . والسحاب الأحمر . وحديث القمر: دواوين العشاق في الأدب الحديث في دوحة الرافعي الغناء .

نهل الرافعي من معين الإمام محمد عبده علما وخلقاً . فلزمه كثيرا . حتى أثره الإمام بحبه لما لحه فيه من النجاسة والذكاء الفطري . والشاعرية الفياضة فكان يشجعه ويطره حتى أنه قال: «أسأل الله أن يقيمك في الأواخر مقام حسان بن ثابت في الأوائل» .

كثرت مطالعته وقراءاته الواعية في كتب التراث الأدبي والإسلامي . حتى قيل عنه استظهر كتاب (نهج البلاغة) للشريف الرضي . وكان يقرأ ثماني ساعات في اليوم... فغرامه بالقراءة وإلزام نفسه بها صنع منه أديبا قديرا .. فقد كان يقول: «ما أرى أحداً يفلح في الكتابة والتأليف إلا إذا حكم على نفسه بالأشغال الشاقة الأدبية . كما تحكم المحاكم بالأشغال البدنية . فاحكم على نفسك بالأشغال الشاقة سنتين أو ثلاثا في سجن الجاحظ أو ابن المقفع أو غيرهما . وهبها كانت في أبي زعل أو طره» .

هذه كانت أهم المؤثرات التي جعلت من الرافعي أديبا إسلاميا لا يبارى في عالم الأدب .



# إغلاق السودان لما تبقى من الممثلات والجمعيات الإيرانية

## قراءة في أبعاد القرار

### تقرير: زرياب الصديق

تلفزيوني مباشر، عن رفض الدبلوماسية للتقارب السوداني الإيراني، بشكله العميق الذي كان يظهر على شاكلته تدريبات مشتركة في سواحل البحر الأحمر، حيث ترسو القطع البحرية الإيرانية في ميناء بورتسودان من حين إلى آخر، وأكد الوزير أنه لا يرى مصلحة للسودان في حدوث تقارب شديد مع إيران على حساب علاقاتها مع دول الخليج، ونادى بضرورة توضيح طبيعة العلاقات معها للدول الصديقة إلا أنه أكد أن الجهات التي تود التقارب مع إيران لها أيضاً ما يبرر دعمها لهذا التقارب.

وطبقاً لمصادر فإن وزارة الخارجية كانت على قناعة بأن التقارب مع إيران يضر كلياً بمصالح السودان مع دول الخليج، وأشارت إلى أن نافذين في الوزارة لم يملوا، وعلى مدى سنوات من تنبيه قيادة الدولة إلى الخطر الذي يمكن أن يجلبه ذلك التقارب على المدى الطويل.

نحاول من خلال هذا المقال قراءة أبعاد قرار السودان إغلاق مكاتب الممثلات والجمعيات الإيرانية كافة بالبلاد، وتبعات ذلك القرار على المؤسسات الإيرانية بالسودان وأتباع المذهب الشيعي، بجانب توضيح تلك المؤسسات التي تم إغلاقها وما تقوم به في أرض السودان.

#### تمهيد تاريخي:

تاريخياً بدأت حركة التشيع في السودان منذ عام ١٩٨٦م بعد توجيهات مباشرة من المرجع الشيعي المدرسي، ومجموعة من الطلبة بحوزة الإمام الفائم العلمية، حيث أتى هؤلاء للسودان وأسسوا جمعية الرسالة والتضامن الإسلامية، وكانت هذه الجمعية هي اللجنة الأولى والأساس في نشر التشيع.

كان قرار السلطات السودانية إغلاق مكاتب الممثلات والجمعيات الإيرانية كافة بالبلاد في ٢٦ مارس ٢٠١٥م، قراراً متوقعاً، بحسبان أنه يأتي استكمالاً لقرار إغلاق المستشارية الثقافية الإيرانية بالسودان وتوابعها. وقد جاء هذا القرار بعد أقل من شهرين من قرار إغلاق المستشارية الثقافية الإيرانية بالخرطوم والمركز الثقافي الإيراني بأم درمان في ٨ فبراير ٢٠١٤م، وطلب وزارة الخارجية السودانية من المستشار الثقافي الإيراني ومعاونيه مغادرة البلاد خلال ٤٨ ساعة، بعد الكشف عن تجاوز المستشارية الثقافية الإيرانية والمراكز لدورها الثقافي والدبلوماسي، حيث جاء القرار كاستجابة لنداءات عدد من علماء الدين الإسلامي في البلاد وتحذيرهم من إمكانية حدوث فتنة مذهبية.

كما أعلنت الحكومة السودانية على لسان وزير الخارجية السابق على أحمد كرتي أن السودان لم يكن في حلف مع إيران على الإطلاق، وقال: «لم أسمع بهذا الحلف وأنا موجود في وزارة الخارجية، وحتى قبل أن أتى إليها لم أسمع بأن السودان حليف لإيران، واصفاً ما تردد بهذا الشأن بأنه ترويج لفرية، وقال العلاقة مع طهران لم تتجاوز الدبلوماسية، وهي تشاركنا منابر منظمة التعاون الإسلامي ومنظمة دول عدم الانحياز، ولم يكن للسودان موقف خاص تجاهها ولم يدخل معها في مواقفها المذهبية، ونوه بأن إيران تريدنا أن نكذب على العرب بأننا موافقون على مواقفها، واعتبر ذلك تزييفاً».

ومنذ وقت مبكر - وتحديداً - في العام ٢٠١٢، طفت على السطح خلافات داخل الحكومة بشأن التقارب مع إيران، وخرج وزير الخارجية علي كرتي، في نوفمبر من ذلك العام إلى العلن متحدثاً في حوار



وللفكر الشيعي. بجانب المسابقات الثقافية والأدبية وهي الآلية التي تطورت أخيراً وكانت قاصرة على السودان. من خلال جائزة الإمام الخميني للقصة، والتي أعلنت عنها الملحقية الثقافية الإيرانية بالخرطوم في يناير ٢٠١١، واللافت أن المشاركة فيها تعدت اللغة العربية والإنجليزية للغة الفارسية. في سابقة لم تشهدها البلدان العربية من قبل. وقد أوجدت تلك البرامج الثلاثة، قنوات اتسمت بالديمومة وحافظت على الترويج ونشر الثقافة الإيرانية التي تخدم ظاهرة التشيع السياسي والمذهبي.

بدأت مؤسسات نشر التشيع تتوسع بالسودان تحت مسميات ومنظمات عدة، وفي مختلف جوانب الحياة لتشمل:

- ١ - المراكز الثقافية.
  - ٢ - المكتبات العامة.
  - ٣ - المؤسسات التعليمية والثقافية.
  - ٤ - الجمعيات والروابط والمنظمات.
  - ٥ - مؤسسات اقتصادية ومشاريع استثمارية.
- وفيما يلي رصد لبعض المؤسسات والجمعيات الإيرانية التي شملها قرار الإغلاق:

#### ١- جمعية الصداقة السودانية الإيرانية :

تعد جمعية الصداقة السودانية الإيرانية من أهم الممثلات الإيرانية ذات الغطاء الشعبي، وهي تنضوي تحت لواء مجلس الصداقة الشعبية العالمية بالخرطوم، وهي مؤسسة شبه رسمية تعمل في مجال تعميق الصداقة بين الشعوب أو ما يعرف بالدبلوماسية الشعبية.

ويحوي مجلس الصداقة الشعبية العالمية عدداً من جمعيات الصداقة، من بينها جمعية الصداقة السودانية الإيرانية، وهذه الجمعية مرتبطة بالسفارة الإيرانية مباشرة. وقد أسهمت هذه الجمعية في تنشيط المراكز الثقافية الإيرانية وغيرها من الأنشطة الدعوية الشيعية، وهي تحظى بدعم بعض السياسيين من البلدين. وقد تمكنوا من خلال هذا المجلس والجمعية من الاتصال بجمعيات الصداقة الأخرى. وكذلك بالطلاب الوافدين خاصة من الدول الإفريقية.

#### ٢- المؤسسات الإيرانية التعليمية بالسودان:

وتشمل المدارس والمعاهد، وهي على النحو التالي:

أ - المدارس: وهي على النحو الآتي:

١- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب الثانوية للبنين في محافظة شرق النيل بالخرطوم. أنشئت هذه المدرسة في هذه المنطقة الشعبية أملاً في إقبال الطلاب عليها نظراً للظروف الاقتصادية لعدد من سكان هذه المنطقة. وقربها من بعض مناطق انتشار التشيع.

٢- مدرسة الجيل الإسلامي لمرحلة الأساس للبنين بمنطقة مابو جنوب الخرطوم: وهي أيضاً منطقة نائية في أطراف العاصمة، وهي منطقة ذات كثافة سكانية عالية ويغلب فيها الفقر.

وبعد جمعية الرسالة والتضامن الإسلامية استمر التشيع في الانتشار مخترقاً بعض شرائح المجتمع سيما سكان أطراف المدن وغير المتعلمين. وأثر في عدد من التكوينات الاجتماعية، وبدأ تأثيره يتسع ليشمل بعض النخب الثقافية والفكرية، أو على مستوى عامة الناس بحيث أصبح له حضور محسوس.

بدأ التحرك الشيعي الرسمي في السودان بافتتاح أول مركز ثقافي إيراني في السودان عام ١٩٨٨ م في عهد حكومة رئيس الوزراء السابق الصادق المهدي. وقد تزايد نشاط المراكز وتوابعها بعد وصول حكومة الإنقاذ للحكم في عام ١٩٨٩ م.

تركز أنشطة المراكز الثقافية الإيرانية الظاهرية على تنظيم دورات في تعلم اللغة الفارسية وعقد المسابقات وتأسيس المكتبات وتزويدها بالمؤلفات الشيعية، حيث إن لكل مركز ثقافي منها مكتبة عامة مفتوحة للجمهور، وهي تشرف على تنظيم رحلات سنوية لزعماء وشباب بعض الطوائف وللشباب السودانيين لزيرة إيران. إضافة لمسابقات في مجال القصة القصيرة والرواية والتشكيل بالتركيز على الخط الفارسي.

وقد حاول الإيرانيون نشر التشيع في السودان عبر عدة وسائل أهمها المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية والمكتبات والمسابقات وتكوين الروابط والجمعيات وقبول الطلاب وإعانتهم وتوزيع الكتب وغيرها. وفي الجانب الشعبي نشطت إيران في نشر التشيع واللغة الفارسية والاحتفالات الشيعية مثل مولد المهدي والمسابقات الثقافية مثل جائزة الخميني للقصة القصيرة.

#### المؤسسات الإيرانية بالسودان:

عندما شعرت إيران أن الأجواء مواتية لتوسيع نشاطها في السودان، بدأت تتوسع في إنشاء مؤسسات وواجهات مختلفة لنشاطها، ونسجت المؤسسات الإيرانية بالخرطوم علاقات واسعة مع زعامات القوى المؤثرة في السودان وبعض بيوت الطرق الصوفية خاصة بزعم الاشتهار في حب آل البيت النبوي، ثم تغلغل في أوساط الطلاب عبر نشاط المستشيرة الثقافية بالخرطوم، والبعثات التعليمية لجامعات الجمهورية الإيرانية، وتقول بعض المصادر المطلعة إن للشيعية انتشاراً بين طلاب الجامعات عبر بيوت الطلبة التي تستأجرها لهم المؤسسات الإيرانية بالخرطوم.

ثم بدأ النشاط الشيعي يركز على المنح الدراسية والتعليمية من أجل دراسة المذهب الشيعي للطلاب والدارسين السودانيين. بجانب بعض التخصصات العلمية والدراسات العليا في مجالات مثل الطب وغيره، ولم تكن الحوزة العلمية في قم وجامعة الإمام الخميني هما الوجهة الوحيدة لهؤلاء، وإنما شملت أيضاً الحوزة العلمية في النجف بالعراق، وحوزة دمشق. وعادة ما تكون دورات المراكز الثقافية بعاصمتي البلدين الخطوة الأولى. قبل تلك المنح والبعثات.

كما ظهرت المشاركة الإيرانية في المعارض والفعاليات الثقافية بالبلدين. حيث كانت معارض الكتاب، والمعارض الخاصة مناسبات مهمة لنشر وتوزيع الكتب والإصدارات وعقد الندوات التي تروج

ويقطنها النازحون إلى العاصمة من جنوب السودان وغربه .  
٣ - مدرسة فاطمة الزهراء لمرحلة الأساس للبنات بمنطقة مايو جنوب الخرطوم أيضاً.

#### ب : المعاهد : وهي على النحو التالي:

١ - معهد الإمام جعفر الصادق الثانوي للعلوم القرآنية والدينية بحي العمارات: وهو من أخطر مراكز نشر التشيع بالسودان؛ إذ لا يقبل سوى حَقْظَة القرآن الكريم. ويلاحظ تركيزهم على حفظ القرآن من لا يحملون علوماً شرعية أخرى لهدف واحد وهو قبول الناس واحترامهم لحافظ القرآن الكريم وخصوصاً أبناء الأرياف والقرى. ومن ثم وبعد التأثير عليهم حيث يرسل من حفظ منهم القرآن إلى قريته ويتبنى. إما فتح خلوة له أو بناء مسجد يؤمّه هو. أو أن يكون إمام مسجد القرية القديم. ثم يبدأ التأثير على أهل قريته وقبيلته ليكونوا من دعاة التشيع .

ومن السهل ملاحظة أن شروط القبول في هذا المعهد. وضعت لتخدم هدفهم المراد. ومنها :

أ - حفظ القرآن الكريم كاملاً .

ب - أن يكون عمر الطالب أقل من سبعة عشر عاماً!

ت - أن يكون الطالب سوداني الجنسية.

ث - أن يكون الطالب معافي من العاهات المستديمة.

ج - أن يكون الطالب صوفياً.

ويتكون المعهد من ثلاثة طوابق. وفيه قسم داخلي كبير للطلاب يحوي كل وسائل الراحة . وفيه مطعم يقدم ثلاث وجبات يومية مجاناً. وبه غرف وأسرة لكل الطلاب. وبالمعهد مكتبة ضخمة فيها جميع كتب الرافضة والمذهب الجعفري وكتب الفلسفة والمنطق وغيرها. وفيها جهاز فيديو ومكبرات للصوت للأذان. ومن مرافق المعهد قاعة للمطالعة. ومسجد للصلاة. ويقدم المعهد لطلابه كل ما يحتاجون من ملابس وأحذية وغذاء وعلاج ووسائل ترحيل.

٢ - معهد الإمام علي العلمي الثانوي للقراءات بحافظة أم درمان: أنشئ في سنة ١٩٩٦م. لاستقطاب طلاب الخلاوي والكتاتيب القرآنية.

#### الجمعيات والروابط والمنظمات:

يوجد بالسودان عدد كبير من الروابط والجمعيات ذات الصلة بإيران. وتعمل كلها في مجالات ذات صلة بنشر التشيع. أبرزها: جمعية أصدقاء المركز الثقافي الإيراني: وهي جمعية تضم كل شيعة السودان والمتعاطفين مع إيران وثورتها. وهي أكبر جمعياتهم. وتتم عبرها اللقاءات مع المدعوين للتشيع. وتتم فيها اللقاءات والاجتماعات وإلقاء المحاضرات وتقديم الكتب والهدايا من قبل مدير المركز. ومن الروابط:

١ - رابطة الثقلين.

٢ - رابطة آل البيت.

٣ - رابطة المودة.

٤ - رابطة الظهير: وهذه الرابطة والروابط الثلاث السابقة هي

عبارة عن روابط طلابية يشرف عليها بعض خريجي الجامعات الإيرانية والسورية واللبنانية والتركية. ولها أنشطة مختلفة كإقامة الندوات والمحاضرات. وإصدار مجلات حائطية ومطويات. ويقوم المركز الثقافي الإيراني بتمويل هذه الروابط المذكورة من أجل القيام بأنشطتها: بالإضافة إلى دفع الرسوم الدراسية للأعضاء. وتأمين ملابس وكتب دراسية ومبالغ مالية للمواصلات. وغير ذلك مما يحتاجه الطلاب.

٥ - رابطة الزهراء. وهي رابطة خاصة بالطلبات بالمدارس والمعاهد والجامعات. وتشرف عليها إحدى أهم الناشطات بالحركة الشيعية النسائية في السودان. وهي أيضاً عضو مهم ومؤثر بالآخذ النسائي الإسلامي.

٦ - رابطة سفينة النجاة الثقافية الإسلامية. وهي رابطة تشكلت من مجموعة من الطلاب الذين يدرسون في الجامعات الإيرانية. وتهدف إلى إدارة شؤونهم كطلاب سودانيين في إيران. وهي إحدى اللافئات الشيعية المهمة في السودان. وهي رابطة نشطة جداً خاصة في بعض قرى شمال كردفان مثل أم دم حاج أحمد.

٧ - جمعية آل البيت الخيرية: وهي فرع للجمعية التي تأسست في إيران عام ١٩٦٠ م. وتصدر مجلة اسمها «الهدى الحمدي».

٨ - جمعية الثقلين الخيرية: تشرف هذه الجمعية حسب بعض المصادر على عدد من المساجد والزوايا ذات الميول الشيعية.

٩ - منظمة طيبة الإسلامية. وهي تعنى بإنشاء المدارس والمعاهد. ويتبع لها بعض المعاهد والمدارس سائلة الذكر. كما يتبع لها ما يعرف بـ «مجلس أمناء المدارس الإيرانية بالسودان». والذي يضم عدداً من الشخصيات السودانية.

١٠ - منظمة جهاد البناء (جهاد ساندكي): وهي منظمة تعمل في أنشطة متنوعة. وتشرف على نشاط بعض المؤسسات الطبية الإيرانية. مثل المركز الطبي الإيراني بأم درمان. ومركز صحي خاتم الأنبياء الذي كان يقع بشوارع الجامعة بالخرطوم جوار الإدارة العامة للمرور.

#### المكتبات العامة:

تركز إيران على بسط ثقافة التشيع والثقافة الفارسية عبر توزيع الكتب ونشرها وإقامة المكتبات العامة. على أن يكون لكل مركز ثقافي من المراكز الثقافية الإيرانية والمؤسسات الأخرى مكتبة عامة مفتوحة للجمهور. وقد أقيمت خمس مكتبات بالسودان مثل مكتبة الكوثر بحي السجانة. ومكتبة مركز فاطمة الزهراء بحي العمارات. ومكتبة معهد الإمام جعفر الصادق بحي العمارات. وكلها في منطقة وسط الخرطوم. ومكتبة مدرسة الجيل الإسلامي بحي مايو جنوب الخرطوم. وهو حي شعبي ذو كثافة سكانية عالية. وأغلب من يقطنه من أبناء دارفور والفلاتة. ومكتبة بالبوسنة بأم درمان.

وقد استفادت تلك المؤسسات مجتمعة من الإعفاءات الجمركية التي وردت في الاتفاقيات الثنائية التي وقعت بين البلدين في



بعض الأوقات في إدخال الكتب والأشرطة المسموعة والمرئية، وقد بلغ عدد الكتب الشيعية التي أدخلت السودان على سبيل المثال قرابة ١٠ ملايين كتاب على أقل تقدير. وهناك المكتبة العامة الضخمة في المركز الثقافي الإيراني في كل من الخرطوم وأم درمان؛ وهناك كذلك عدد من المكتبات داخل الحسينيات والجمعيات والروابط.

#### الحسينيات:

من مظاهر التشيع في السودان انتشار الحسينيات والزوايا الدينية الشيعية، والتي كانت أكثر وضوحاً بالسودان. فالحسينيات تسمح للشيعية بحرية ممارسات صلاتهم وتنظيم الاحتفالات الدينية. تشير بعض المصادر أن للشيعية بالسودان قرابة ١٥ حسينية وزاوية. أغلبها بالخرطوم، وأشهرها حسينية المرتضى، التي تقع شرق العاصمة الخرطوم، ينظم فيها منتدى دوري يتناول الأمور الخاصة بالطائفة الشيعية. وعملها أقرب للسرية ليس خوفاً من السلطات السودانية. حيث كانت سابقاً تغمض عينها حيال نشاطها. ولكن خوفاً من الجماعات السلفية المتشددة، وتشير التقارير إلى أن هذه الحسينيات لها مكتبات مقروءة وصوتية. وعبرها يتم الحصول على بعثات دراسية للحوزة العلمية في إيران والعراق.

والحسينيات موزعة بين العاصمة الخرطوم ولايات كردفان والنيل الأبيض ونهر النيل، وفي أول ملتقى شيعي تم بصورة علنية في عام ٢٠٠٩م حضر حوالي ألف من شيعية السودان. كما يتم تنظيم احتفال سنوي بعيد مولد السيدة فاطمة الزهراء ويوم القدس العالمي وذكرى الخميني والمهدي.

#### مؤسسات اقتصادية ومشاريع استثمارية :

بعد بروز الوجود الإيراني في الساحة السودانية، بدأ هذا الوجود في التوسع في الجانب الاقتصادي عبر بيع النفط والغاز الإيرانيين للسودان. عقب حرب الخليج وغضبة دول الخليج على السودان بسبب موقفه آنذاك. وقامت إيران بتأسيس مجموعة من الشركات والمشاريع الاستثمارية والاقتصادية والمنح المحدودة. وسعت لاستغلال تلك المشروعات ضمن جهود نشر التشيع في السودان.

ويقال إن إيران كانت لاعباً قوياً في استخراج النفط والتنقيب عن الغاز. وما تبع ذلك من نشاطات اقتصادية إيرانية. حيث رفع الإيرانيون شعار الأهداف السياسية والاقتصادية في خدمة نشر المذهب الشيعي.

ومن أبرز الأنشطة الاقتصادية الإيرانية في السودان، ما يلي:

١ - شركة إيران غاز: وهي إحدى أهم الشركات العاملة في تعبئة أنابيب الغاز ونقلها وتوزيعها. ويعمل في هذه الشركة وتوكيلاتهما عدد كبير من السودانيين. ولها فروع في عدد من مدن ومناطق السودان. وهي لا تعطي توكيل إيران غاز إلا لمن كان شيعياً أو قريباً من التشيع ليكون مصدر دخل للمتشييع. وتقام في الشركة

ومقراتها كل مظاهر التشيع. حيث تعتبر مركزاً من مراكز التشيع في التوظيف وتوزيع التوكيلات للشركة. وقد تمت تصفية الشركة وبيعها لمستثمر آخر. وتحول اسمها التجاري من إيران غاز إلى اسم آخر.

٢ - المطعم الإيراني، وقد أقيم في مبنى فخم من ثلاثة طوابق يطل على شارع المطار. وشارع رقم ١٥ بحي العمارات، إلا أنه قد أخفق من ناحية اقتصادية وتم إغلاقه.

٣ - مشاريع المنح الأخرى: مثل طرق السلام، الذي يربط مدينة ربيك ومدينة الجبلين بولاية النيل الأبيض بالجنوب الأوسط للسودان. وقد عملت في الطريق عدد من الشركات الإيرانية. في الفترة بين (١٩٩٤-١٩٩٩). حيث حاول القائمون على أمر الطريق نشر التشيع من خلال العمل في القرى حول الطريق. وقد طالت مدة إنجاز الطريق. وهو لم يكتمل حتى الآن.

٤ - الاتفاقيات الاقتصادية: تم توقيع عدد من الاتفاقيات الاقتصادية بين السودان وإيران بقيمة ٤٠٠ مليون دولار، وخاصة فيما يتعلق بتبادل الخبرات في مجالات الزراعة عن طريق إنشاء مزرعة نموذجية مشتركة وتصدير بعض المحاصيل والمنتجات الزراعية إلى إيران. والصناعة بإنشاء مصانع سكر وألبان ومصنع للسيارات والجرارات والمقطورات. إضافة إلى إبرام اتفاق للتعاون في كل من المجال العلمي والنفط والتعدين والعمل المصرفي.

٥ - مشروعات وشركات في مجال المياه وتعبئتها.

٦ - مشاريع زراعية وحيوانية.

ومن خلال هذه المشروعات الاقتصادية سعت إيران لاستغلال الفقر في نشر التشيع، وذلك بتوفير الوظائف للبعض وإعالة الطلاب للبعض الآخر عبر المؤسسات مباشرة أو المراكز الثقافية والأفراد.

#### خاتمة:

يلاحظ أن الاهتمام الإيراني بالسودان تركز على الشعب والدولة كلاً على حدة. فهي تنظر للسودان كدولة تستطيع من خلالها تنمية علاقاتها الاقتصادية والعسكرية والإستراتيجية. كما ظلت تنظر للسودان كدولة لها نفوذها الديني الإقليمي، وامتدادها العميق باتجاه الغرب الإفريقي والجنوب الساحلي معززة بثقل تاريخي هائل. ولذلك فإن قرار الحكومة السودان بإغلاق المؤسسات الإيرانية بالبلاد كافة يمثل قاصمة ظهر للنشاط الشيعي في السودان.

وفي جانب الاختراق الشيعي للمجتمع السوداني تظل بوابة بعض الطرق الصوفية هي أكبر معبر لدخول التشيع للسودان. لأن عدداً كبيراً من البيوت الصوفية المشهورة قد تبرأت من التشيع وأهله. بجانب المؤسسات الصوفية مثل المجلس الأعلى للتصوف والجمع الصوفي العام. ولم يتبق إلا بعض الجيوب المحدودة.

والتصدي للوجود الشيعي في القطاعات الشعبية تحتاج لتضافر جهود العلماء والمؤسسات العلمية والدعوية الرسمية والشعبية للوقوف أمام أي محاولات لنشر فكر الشيعة في البلاد. ولا يكفي بالطبع الجهد الرسمي الذي كان على رأسه حظر المؤسسات الشيعية.

# من آداب الشعوب المسلمة نماذج من الأدب المليباري

بقلم: منصور محمد ميران الهدوي

الهند - كيرالا

قد دخلت فيها كلمات وتأثيرات مباشرة أو غير مباشرة من لغات مثل العربية والفرنسية والبرتغالية والإنجليزية. وإذا دققنا النظر إلى تاريخ الشعر المليالي ندرك أنه يعود إلى ما لا يقل عن ألف سنة. وأن التاريخ الحقيقي للأدب بلغة الملايلم يبدأ بالأغاني الشعبية التي ترتبط بالعبادة والعمل والبطولات. وأول التأليف المدونة في حيز الوجود بهذه اللغة هي الراميانامات وأولها راماشاتريتام. وترجع اللغة إلى القرن السادس عشر. ولم تتغير منذ ذلك العهد كثيرًا. وإن كان الشعر قد تطور إلى حد محدود على أيدي الشعراء الكبار أمثال شيروشييري وبونثام وأريودومبراشو ونامبيار. وأدخلت الحركة الرومانسية نهضة في القرن التاسع عشر. وبرزت قصائد أسنان المتأثرة بتعليم بوذا والمصلح الاجتماعي ناربان في تصويره للحب والحياة. ثم برز فالاثول الذي كان يكتب في أعقاب الكفاح للتحرير من بريطانيا الغاشمة متأثرًا بالميثولوجيا والتاريخ والطبيعة. وقد أغنى اللغة بتعابيرها الجديدة المبتكرة. وجاء بعده أدبييلي بيلا وشاجامبوتزا بيلا. وهذا الأخير ألهم الخيال بصور الحب واليأس والإفلاس التي ما يزال تأثيرها ظاهرًا على الشعر المعاصر. واستمرت الحركة الرومانسية قوية على أيدي أمثال كوروب وأديسيري نايار وأما فارما وباسكاران والشاعرة شوجانثا كوماري وبعض هؤلاء من اللذين مازالوا على قيد الحياة.

وفي الستينيات من القرن العشرين وجد كثير من الشعراء أن الرومانسية لم تعد كافية لمعالجة قضايا الحياة المعاصرة. خصوصًا في المدينة المتحضرة. وظهر جراء هذه الظاهرة التمرد على الرومانسية عند شعراء أمثال أيابانيكرو وكاكاد

هذه لفظة إلى تاريخ الشعر المليباري المعاصر في كيرالا بالهند. وتشكل ولاية كيرالا قطاعًا طويلًا من الأرض الساحرة الفاتنة في الجانب الغربي من الهند. وتتمتع بالمنظر الخلابة التي تغلب عليها أشجار جوز الهند التي تلعب دورًا بارزًا في اقتصادها. بل يقال إن كلمة كيرالا قد اشتقت من كلمة كيرام. التي تعني شجرة جوز الهند كما يقال إنها محرفة من العبارة العربية (خير الله). ويجتاز الولاية أكثر من أربعين نهرًا. فلا غرو أن يصف الهنود كيرالا بالفردوس الأخضر. مساحة كيرالا تزيد على ثمانية وثلاثين ألف كيلومتر مربع. وعدد سكانها نحو أربعين مليونًا وعاصمتها مدينة ثيرووننتابرام. وتقع في الجنوب. ومن أهم مدنها كاليكوت في الشمال. حيث المنطقة التي عرفت باسم مليبار. التي يكثر فيها المسلمون وتنتشر المساجد.

وعلى ساحل كاباد في هذه المنطقة نزل المستكشف الرحال البرتغالي فاسكو دي جاما. ومن المعروف أن كيرالا قد أقامت علاقات تجارية مع الفراعنة والفينيقيين والبابليين والصينيين منذ القرن الثالث قبل الميلاد. وحاليا يعيش نحو عشرة في المئة من أهل كيرالا في المهاجر. ويشكلون نسبة كبيرة من الجاليات الهندية في دول الخليج.

لغة كيرالا هي الملايالم التي تنتمي إلى عائلة اللغات الدرافيدية المستعملة في جنوب الهند. وأهم لغات هذه العائلة هي التلجو والتاميل والكاندا والمليالم والجوندي والكوروخ والتولو. وتستعير الملايالم الكثير من السنسكريتية لغة الهند الكلاسيكية. كما أن لها ارتباطًا قويًا بالتاميل المنتشرة في الولاية المجاورة. كما أن الملايالم بشكلها الحديث

وكنجوني ونامباشوري وايباث . ثم جاء بعدهم جيل جديد في طليعتهم كادامانينا راماكريشنان وأتورفارما وساتشيداناندان وسانكرا بيلاي. وهؤلاء أتوا بصور واستعارات وأشكال جديدة مثل المراثة القصيرة والشعر الحر وقصيدة النثر. كما أدخلوا سخرية ونقدًا لتناقضات الحياة المعاصرة.

أضف إلى ذلك في السبعينيات كثرة الشعر السياسي الثوري النزعة. وابتدعت استعارات وأساليب حديثة تحت تأثير الحركات الاجتماعية في الهند وأمريكا اللاتينية وإفريقيا وأوروبا. وبرز نجوم وعلى رأسهم ساشيداناندان وسانكرا بيلاي. ثم يليهم شعراء أمثال فينيا شاندران وبالا شاندران شوليكادوايبان. وبات اليوم شعر الملايالم الحديث يهتم بقضايا العصر مثل اضطهاد المرأة واضطهاد الريفيين الفقراء وتلوث البيئة والحرارة الأرضية والفرق بالحيوان وتمجيد الطبيعة والثقافات المحلية. وخرج شعراء يتناولون مثل هذه القضايا من منظور متحرر من قيود الإيدولوجيا وبأسلوب مكثف ودقيق. ومنهم رفيق أحمد وراماشاندران ورامان وجوبي كريشنان وأنور وثامبي وفيران كوتي وغيرهم من يسير على شاكلتهم وأماطهم.

#### ترجمات الأدب المليباري إلى العربية

الشاعر الدكتور شهاب غانم أحد شعراء دولة الإمارات العربية المتحدة. له إسهام واضح في مجال الفكر والأدب. وفي الحركة الثقافية والشعرية في دولة الإمارات العربية المتحدة. فمن إنتاجه الأدبي ما ينشره في بعض الصحف والمجلات العربية. أو ما يترجمه من أشعار إماراتية إلى لغات أخرى. وخصوصًا الإنجليزية. والعناية بالتفاعل الثقافي بين الحضارات والشعوب. الذي من شأنه أن يعزز العلاقات على كافة المستويات. ولا يزال يركز الاهتمام على ترجمة أعمال الشعراء المليباريين الفحول إلى اللغة العربية. وهو أول عربي حاز على جائزة طاغور للسلام . وهو أيضًا مترجم قدير.

يطل الدكتور شهاب غانم على عوالم مختلفة يختلط فيها الشعر بالفن وبالصحافة والترجمة إلى جانب الدراسة الأكاديمية مع أن تخصصه في الهندسة الميكانيكية والكهربائية ثم الإدارة الصناعية وحصوله على ماجستير في تطوير موارد المياه. وهو أيضًا حاصل على الدكتوراه في مجال الصناعة وتنمية الموارد البشرية من روركي الهندية. وينتمي إلى أسرة ذات اهتمام بالتعليم والثقافة والفن. فوالده الدكتور محمد عبده غانم أول خريج جامعي على

مستوى الجزيرة العربية. شاعر وأستاذ جامعي.

#### إطلالة عابرة على العلاقات الثقافية الهندية العربية المعاصرة

أشار غانم إلى العلاقات الثقافية بين العرب والهند. فقد شهد العصر الحديث تعاونًا عربيًا هنديًا ضد الاستعمار وخصوصًا الاستعمار البريطاني ووصلت العلاقات ذروتها عندما تلاقى الجهود في حركة عدم الانحياز في باندونج عام ١٩٥٥م . وكانت مواقف الهند حتى سنوات قريبة مؤيدة للعرب في صراعهم مع الغتصاب الإسرائيلي لفلسطين. ولكن تكدت العلاقات بعض الشيء خصوصًا بعد تدمير مسجد بابري عام ١٩٩٢م ومسجد شرار شريف في كشمير عام ١٩٩٥م ثم التقارب بين الهند وإسرائيل في الفترة الأخيرة بعد سقوط القطب السوفيتي.

ومن ناحية أخرى فإن العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية والهند ما زالت دون المستوى المطلوب على الرغم من أهمية الهند وسرعة نموها الاقتصادي والتقني وحاجتها للنفط والغاز الخليجي وحاجة العالم العربي وخصوصًا دول الخليج للخبرات الفنية والعلمية وللعمالة الهندية. وبجانب هذا فإن أكبر نسبة عمالة أجنبية في دولة الإمارات هي العمالة الهندية وخصوصًا في دبي والشارقة وبشكل خاص من أبناء ولاية كيرالا التي تكثر فيها نسبة المسلمين.

وما لا يقبل الجدل أن العلاقات العربية الهندية دون المستوى المطلوب لأن العرب تأثروا واجتهدوا في مجال العلم والثقافة نحو الغرب بشكل أكبر لأسباب تاريخية أهمها الاستعمار الغربي وسيطرة اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في العالم العربي. ولكن نلاحظ أن كثيرًا من أبناء الجيلين السابقين في الإمارات والخليج كانوا يتاجرون مع الهند في اللؤلؤ وغير ذلك. ويجلبون البضائع الهندية بما في ذلك التوابل التي كان يجلبها أجدادهم منذ آلاف السنين. وكثير من أبناء الإمارات وخصوصًا من كبار السن يتحدثون الهندية. ويضيف شهاب غانم في كتابه في واحة الأدب قائلاً: «على سبيل المثال فإن جدي محمد علي لقمان الذي درس القانون في الهند كان صديقًا للمهاجرات غاندي الذي كان يسميه [صديقي لقمان]. ومن الشخصيات المهمة التي زارت المنطقة العربية علاوة على المهاجرات غاندي الشاعر الشهير رابندرانات طاغور. وقد ترجم بعض قصائد وقصص طاغور أكثر من أديب عربي. ويكاد طاغور يكون الاسم الوحيد المعروف للقارئ العربي من شبه القارة الهندية . بالإضافة إلى الشاعر العلامة محمد إقبال الذي ترجم بعض أشعاره



إلى العربية عبد الوهاب عزام ومحمد محمود الزبيري والعلامة الأعظمي الذي حول الصاوي شعلان ترجمته لقصيدته شكوى وجواب شكوى إلى نظم فاشتهرت الترجمة المنظومة ومطلعها «حديث الروح للأرواح يسري فتدركه القلوب بلا عناء». وكان يكتب الشعر بالفارسية. فأما كتابي قصائد من الهند خير شاهد على ذلك التلاقح الثقافي بين الهند والعرب.

### شهاب غانم وأعماله في مجال ترجمة الشعر الملباري

وبعد هذه الإطلالة، نريد عرض نماذج من الأشعار التي نقلها إلى العربية الدكتور شهاب غانم خلال السنوات الأخيرة. فقد انتقى الشعر المتميز المكتوب بالملايالم والمترجم إلى الإنجليزية لمشاهير الشعر الحديث في كيبالا وبعض المقيمين في الإمارات. وينشر ما يترجمه كله أو جله في مطبوعات مثل «الخليج الثقافي» و«الصدى» و«دبي الثقافية» و«شؤون أدبية» و«الرافد» وما إلى ذلك. ثم جمع هو تلك القصائد في كتاب بعنوان: قصائد من كيرالا نشرته الدائرة الثقافية في الشارقة عام ٢٠٠٥م. فكان بذلك أول كتاب بالعربية يقدم شعر الملايالم الحديث مترجماً إلى اللغة العربية العريقة. ويحوي الكتاب نحو خمسين قصيدة لسبعة وعشرين شاعراً وشاعرة منهم ساتشيدانندان ومن سار على منواله من رجال الشعر المرموقين المشار إليهم بالبنان. واهتم شعراء كيرالا كثيراً فقاموا بدورهم بترجمة الكثير من أشعار غانم وأشعار الإماراتيين الآخرين. ويتابع أخيراً أعمال ترجمته إلى لغات عديدة من شتى أرجاء الهند. فأصدر كتابه المسمى قصائد من الهند الذي يحوي ثمانين قصيدة لثلاثين شاعراً معروفاً أمثال ميرزا غالب وطاقور وكملاسريا وساتشيدانندان. وكانت كل ترجماته تلك عن طريق ترجمات إنجليزية للنصوص. ويرى أن الشعر هو روح الأمة والاهتمام بترجمة الشعر ضروري للتواصل والاحتكاك والاندماج بين الشعوب ولدعم حوار الحضارات بدلا من صراع الحضارات التي يدعو لها بعض منظري هذا العصر.

### نماذج شعرية مترجمة

القصيدة الأولى بعنوان: (ناني) للشاعرة كملا داس المولودة عام ١٩٣٤م. وقد غيرت اسمها إلى ثريا بعد أن اعتنقت الإسلام منذ بضع سنوات. وهي مرشحة لجائزة نوبل للأدب منذ ١٩٤٨م. وتكتب الشعر بالإنجليزية. وهي قاصة شهيرة

تكتب القصيدة بلغة الملايالم وأنها كانت شاعرة ذائعة الصيت اسمها بالامنيااما.

ناني

ناني الخادمة الحامل

شنقت نفسها في أحد الأيام في المرحاض

وظلّت معلقة هناك كدمية شوهاء.

ثلاث ساعات طوال

إلى أن حضرت الشرطة

وعندما كانت الريح تهب فتديرها برفق في حبلها

كان يتراءى لنا . نحن الذين كنا أطفالا يومئذ

أن (ناني) كانت تقوم برقصة مضحكة لتسلتنا.

نمت الأعشاب بسرعة . وقبل نهاية الصيف

كانت الأزهار الصفراء تعانق المدخل والمحيطان.

وأصبح المرحاض المهجور كأنه مذبح في معبد

أو ضريحٍ لقديسة ميتة.

بعد عام أو عامين سألت جدتي ذات يوم

هل تذكرين (ناني) الممتلئة الداكنة

التي كانت تغسلني بجانب البئر؟

حركت جدتي نظارة القراءة على أنفها

وحملت في وجهي وسألت: (ناني)... من هي؟

وبهذا السؤال انتهت (ناني)

كل الحقائق تنتهي هكذا بسؤال.

إن هذا الصمم المتعمد يحول الموت إلى خلود

والشيء الأكيد إلى شيء رخو غير أكيد

إنهم محظوظون أولئك الذين يسألون أسئلة

ثم يمشون قبل مجيء الإجابة

أولئك الحكماء الذين يحبون في منطقة صامتة زرقاء

لا تخامر أذهانهم الشكوك

لأنهم يمتلكون ذلك السلام المتخثر

المنظمر في الحياة

كاللحن في بيضة الوقواق

كالشهوة في الدم

أو كالنسغ في أوعية الشجرة...

### أين الوجه؟!

القصيدة الثانية هي للشاعر فشنو نارايين نامبودري المولود عام ١٩٣٩م. وهو من شعراء ما يسمى بالحساسية الجديدة. وهو منحى في الأدب يعظم التعاطف الإنساني والشعور بالآلام الآخرين. وقد حصل على جائزة أكاديمية كيرالا للأدب. أين الوجه؟

أسأل مندهشًا: ولكن أين الوجه؟!  
 ويجلس صديقي في صمت كالحكماء  
 في اللوحة التي رسمها للكرنفال الكبير  
 توجد أعلام وأفبال وشمسيات  
 وحشود من الناس في ثياب زاهية الألوان  
 ولكن جميعهم من دون وجوه!  
 هل هذا الشخص معتوه تمامًا أو فيلسوف عظيم؟  
 وفي المساء بينما أنا واقف  
 أتروح في مأواي القديم قرب البوابة  
 إذ بموكب ضخم يمر بالقرب مني  
 بعضهم كانوا يلبسون البناتيل أو السراويل  
 وبعضهم كانوا يلبسون القلنسوات أو أغطية الرأس  
 دقيقتان لكل خطوة  
 وقادتهم يهمسون بعضهم لبعض  
 أين وجهك... (آه! أين وجهك؟)  
 وبينما تنزلق الأرض عميقًا في روعي  
 مشحونة بينابيع الرحمة  
 لحشود من الأنام تكافح كالحشرات  
 في زيت مصباح حار  
 أرفع منديلي بسرعة لأمسح وجهي  
 ولكنه لا يلامس شيئًا: ماذا! فراغ!  
 أندفع إلى غرفتي مروعًا ومندهلا  
 ألقى نظرة واحدة في المرآة على الحائط وأنا أرتجف:  
 ما فوق الياقة  
 يا لله!  
 أنا أيضا ليس لي وجه على الإطلاق.  
 القصيدة الثالثة هي للبروفيسر ك. ساتشيدانندان المولود  
 عام ١٩٤٦م. وله أكثر من خمسين كتابًا في الشعر والمسرح  
 والنقد والترجمة. ونال العديد من الجوائز في الهند وخارجها  
 وهو سكرتير الأكاديمية الهندية للأدباء.  
 كيف انتحر مايكوفسكي  
 لم يقل الشاعر في رسالته الأخيرة إلا الشيء القليل  
 ما لم يقله كان أكثر بكثير.  
 كانت الثورة في صباها  
 ذات يوم جاء إليه رفاهه المقربون  
 الذين شاركوه كلماته وبعض شراب  
 في زمهرير الشتاء  
 اليوم جاءوا إليه في بدلة البيروقراطي الفولاذية  
 التي صممت لمنع تسرب أي مقدار من الحب  
 وأمره:  
 (اكتب عن سدودنا)  
 وكتب عن سدوده

السدود التي بناها الشعب  
 وأعطاهم ترنيمة عن نبل الإنسان  
 وأمره: اكتب عن زعيمنا  
 وكتب عن لينين  
 لينين الشعب  
 وأعطاهم ترنيمة جنائزية  
 عن موت الحب الإنساني السامي  
 واستمرت المطالب تتكاثر  
 اكتب عن جمال تلاكورتانا  
 عن المقدرة الخارقة لكمبيوتراتنا  
 توقف عن التعالي وكتب تقريرًا شعريًا عن خطتنا  
 الخمسية  
 التواضع والشعر ينبغي ألا يعقبا بهذا الشكل  
 قذف بالبوق الذي كان يدوي كجبال القوقاز  
 في الدانوب لتلعب به أمواجه  
 ونفض الغبار عن القيثارة الروسية  
 التي تحمل البصمات الدامية لأصابع بوشكين ويسنين  
 وأعطاهم مرثاة  
 عن خُلل الحب  
 ثم مشى في صمت  
 إلى حجرة الكتابة  
 حيث اعتاد تناول الشاي مع الشمس  
 والغناء بأعلى صوته.  
 أغلق الستائر على السهول  
 التي كان الظلام قد بدأ يزحف عليها  
 ورفع المسدس  
 الذي كان يحتفظ به لأعدائه  
 إلى رأسه ، كأنه هو العدو الآن.  
 الحب العظيم  
 الذي أعطى الأوردة الجديدة للشعر الروسي ... تهاوى  
 وبطاقة الحزب التي حملت الولاء اثنين وعشرين عاما  
 تنقعت في الدم  
 كما تنقعت أيضا قصيدته في لينين.  
 دم الشاعر الذي لا يروّض  
 جرى بين المخطوطات غير المكتملة  
 إنذارًا لأولئك الذين نسوا رحمة الغاية  
 في قسوة الوسيلة  
 إن إصبغًا اتهامية تكبر.....وتكبر  
 وتشير باستمرار إلى فحش السلطة  
 ونذير شؤم لأولئك الرجال  
 الذين يحاولون أن يكونوا آلهة على الأرض...

المحافظة على

# الهوية الإسلامية

د. عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

عميد معهد الأئمة والدعاة

وهذا قمة التوجيه في الاعتناء بالهوية الإسلامية والاعتزاز بها حتى إن اليهود قالوا: « ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ».[٥]

ولعلي أختتم التوجيهات الشرعية بمقولة في غاية الشموخ والرفعة للإنسان المسلم، وهي للفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : « إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العِزَّ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله ».[٦]

إن الناظر والمتأمل في أحوال الكثير من المجتمعات الإسلامية اليوم يرى تساهلاً في الحفاظ على الهوية الإسلامية في كل مجالاتها، ولعلك لو قمت بزيارة إلى بعض هذه المجتمعات في مساجدها، أو أسواقها، أو شوارعها، لأخذتك الدهشة، والاستغراب لما تراه من ضعف التمسك بالهوية الإسلامية، وقد تظن أحياناً أنك في مجتمع غير إسلامي لكثرة المؤثرات الغربية التي غزت مجتمعاتنا، وللأسف قد تفسى منذ زمن في الكثير من المجتمعات الإسلامية، وعلى مستوى الرجال، والنساء، وخصوصاً الأطفال، والشباب، تقليد المجتمعات الغربية في لغاتهم، وفي ملابسهم، بل وفي كثير من أساليب، وطرق حياتهم المختلفة، وهذا أمر مؤلم لأن الاستمرار في قبول هذه المؤثرات، وعدم السعي إلى تغييرها، والاعتزاز بالهوية الإسلامية يجعل مجتمعاتنا قابعة في ظل التبعية، والتقليد، ثم الإحساس بالدونية، والغلبة، وهنا تنطبق علينا مقولة عالم الاجتماع المسلم عبد الرحمن بن خلدون - رحمه الله - : بأن المغلوب مولع بتقليد الغالب.

وأخشى أن الحال الذي وصل إليه المسلمون اليوم هو ما أخبر عنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، في الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « لتبتعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال: « فمن؟ ».[٧]

إن المحافظة على ما تمتلكه المجتمعات الإسلامية من هُويّة، وسمات، وملامح مميزة خاصة بها دون غيرها من المجتمعات أمر في غاية الأهمية، لأن الاعتزاز بهذه الهوية يبعث على الفخر، والشموخ، والثقة بالنفس، والمجتمع الذي ليس له هوية يتمسك بها، ويتميز بها هو مجتمع ضعيف البنية، حيران، وتائه الرؤية، يترنح تارة نحو الشرق، وتارة نحو الغرب.

ولقد ميز الله تعالى المجتمعات الإسلامية بهوية فريدة في مصادرها، وأصولها وفروعها، وكل متعلقاتها، ومن عايشها، وفهمها، والتزم بها سعد في الدنيا والآخرة، ومن أهم ما يجب المحافظة عليه: العقيدة الإسلامية الصحيحة، والشعائر الإسلامية كلها، وفي مقدمتها أداء الصلوات في المساجد، والمحافظة على اللغة العربية: لغة القرآن الكريم، واللباس المحتشم بالنسبة للرجال، والنساء، وكل الأخلاق الإسلامية الفاضلة.

ولأهمية القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة كمصدرين أساسيين للهوية الإسلامية، فقد اعتنى الشارع الحكيم اعتناءً كبيراً بالمحافظة عليهما، فقال تعالى: «لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ».[١] وقال سبحانه وتعالى: «فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ».[٢]. وكلتا الآيتين الكريمتين تشيران إلى ضرورة التمسك بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة لأن فيهما العزة والرفعة، للإنسان المسلم، ولهذا فهما موضع الفخر، والاعتزاز بهما، قال تعالى: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ».[٣]

ومن الأحاديث الشريفة التي تؤكد المحافظة على الهوية الإسلامية، ما جاء في التحذير من التشبه بالمشركين، ففي الحديث الشريف: عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من تشبه بقوم فهو منهم ».[٤]. وذلك لتبقى أمة الإسلام محافظة على هويتها مستقلة بذاتها.



وهذا الإخبار الحق من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يعني الاستسلام والانقياد لكل أت من الغرب والشرق، ومخالف لتعليمات شريعتنا. بل الواجب الحق هو أن نعمل، ونجتهد كما عمل غيرنا من المجتمعات في المحافظة على هويتهم، ونعرف الأسباب الحقيقية وراء هذا التراجع، وهذا التقليد الأعمى لكل قادم من الخارج، ثم نتعاون جميعاً، ونرسم الخطط، ونوفر الإمكانيات، وسوف تستقيم سلوكيات المسلمين إن شاء الله تعالى في المستقبل القريب، فترتفع راية أمتنا عالية حَقَّافَة بإذن الله تعالى.

إن الواجب على المسلمين في كل مكان ليس المحافظة على الهوية الإسلامية فحسب، بل الواجب عليهم الدعوة إليها بالحكمة، والموعظة الحسنة، ونشرها في كافة أصقاع الدنيا لأنها مستمدة من ديننا القويم، وهو أشرف الأديان، وخاتمها، وإذا كان غيرنا من المجتمعات غير المسلمة يفتخر، ويعتز بهويته أيما اعتزاز، وهي هوية جلها مسوخ من الأخلاق، والقيم الفاضلة، فنحن أحق بالافتخار، والاعتزاز بهويتنا، التي هي فعلاً متميزة لأنها معتمدة على أصول ربانية، وتتماشي مع الأخلاق، والقيم، والفضائل السامية، والفضيلة، والعقول السليمة.

قد ترى في المجتمعات غير المسلمة قوة، وصلابة تمسكهم، ومحافظتهم على هويتهم التي يتميزون بها من عادات، وتقاليدهم، وطقوس ورواها من أسلافهم، وقد تشعر في بعض ما يعتزون ويفتخرون به، بل ويقدمونه عجائب، وغرائب قد يصل في بعضها إلى السخافة، والتفاهة، ولكن على الرغم من ذلك جدهم متمسكين بها، ويصرون على إبرازها، وتخليدها بكل الوسائل المتاحة.

#### منطلقات وأسس مهمة:

إن قضية المحافظة على الهوية الإسلامية، هي محافظة على الدين الإسلامي، وإن ما يشاهد اليوم في بعض المجتمعات الإسلامية من ضعف في التمسك بالهوية الإسلامية، مرحلة لن تطول بإذن الله تعالى، ولذلك يجب على الجميع التعاون المثمر في تحقيق تعزيز هويتنا في نفوس ناشئتنا وشبابنا، ومن أهم المنطلقات لذلك:

أولاً: يجب العمل على إعداد مشروع إستراتيجي، وفق خطط مدروسة بين المجتمعات الإسلامية المختلفة للتعاون الجاد فيما بينهم للمحافظة على الهوية الإسلامية، ووضع السبل الملائمة لوضعها موضع التنفيذ.

ثانياً: يجب أن تتولى وسائط التربية المهمة، ابتداء من الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، والإعلام بوسائله المختلفة، المحافظة على الهوية الإسلامية، وترسيخها، والاعتزاز بها من خلال بيان مكانتها، وصحة، وصدق أصولها، وكذلك إيضاح

خطر، وسلبات جاهلها، والانسلاخ منها على المجتمع، والأمة الإسلامية.

ثالثاً: ضبط عدم شيوع الأسماء غير الإسلامية، سواء كانت أسماء لأشخاص، أو محلات تجارية، أو أماكن، أو شوارع عامة، وإزالة كل الأسماء الأجنبية، واستبدالها بأسماء إسلامية.

رابعاً: العناية بتوجيه الشباب المبتعثين للعمل، أو للدراسة في الخارج، وإقناعهم بالأساليب المناسبة، بأهمية المحافظة على هويتهم، والعمل على تهينة محاضن تربوية إسلامية مناسبة لأسرهم، وأطفالهم حتى لا تحدث فجوة بينهم، وبين مجتمعاتهم عند عودتهم، فيصعب علاجها.

خامساً: يجب على القذوات، أو الأسماء المشهورة في المجتمعات الإسلامية عدم الظهور في وسائل الإعلام المختلفة أمام العامة، وهم متأثرون بالثقافات الأجنبية، لأن هذا مدعاة لتقليدهم من الناشئة والشباب.

سادساً: هناك قلة من أبناء جلدتنا الذين تأثروا بالثقافات الأخرى، وأصبحوا دعاة إلى التغريب، وإلى الانسلاخ من الهوية الإسلامية، فيجب محاورتهم ونصحهم بالأساليب المناسبة من خلال نخبة من طلبة العلم المتميزين، وفي الوقت نفسه بيان خطرهم، وفساد طرحهم للعامة حتى لا يتأثروا بهم.

سابعاً: التحذير الشديد من مخططات أعداء الإسلام والمسلمين الذين يحرصون على طمس الهوية الإسلامية، وعلى تشويه صورة الإسلام، وعلى إثارة النزاعات والفتن بين المجتمعات الإسلامية من خلال القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية، وغيرها، والتصدي لهم بكل الوسائل الممكنة.

#### مصادر ومراجع:

- [١] الأنبياء: ١٠.
- [٢] الزخرف: ٤٣-٤٤.
- [٣] المنافقون: ٨.
- [٤] أبو داود، سنن أبي داود، باب في لبس الشهرة، حديث رقم: ٤٠٣٣، (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: ٢٠٨٩).
- [٥] مسلم، صحيح مسلم، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها، حديث رقم: ٧٢٠.
- [٦] الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الإيمان، حديث رقم: ٢٠٧، (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: ٢٨٩٣).
- [٧] البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لتبعن سنن من كان قبلكم»، حديث رقم: ٧٣٢٠، (مسلم، صحيح مسلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث رقم: ٦٩٥٢).

# وأقبل الشتاء ربيع المؤمن

## محمد خليفة صديق

الباردة؟ فالشتاء من جهة طول الليل وقصر النهار نعمة، إلا أن بعض السلف كانوا يعدون الشتاء من أعداء المؤمن، يجب على المؤمن أخذ الحذر منه والاستعداد له، روى عن أبو عمرو بن العلاء قوله: «إني لأبغض الشتاء لنقص الفروض، وذهاب الحقوق، وزيادة الكلفة على الفقراء»، وقال بعض السلف: «البرد عدو الدين»، يشير إلى أنه يفتر عن كثير من الأعمال ويثبط عنها فتكسل النفوس بذلك.

إن من واجبتنا مع هذا الشتاء القارس أن نتذكر أحوال الفقراء والمعدمين من إخواننا المسلمين، في معسكرات النزوح واللجوء، ومن يسكنون في بيوت الصفيح والكرتون والقش؛ فإنهم لا يجدون كساءً يحمي أجسادهم، ولا فراشاً يقيهم صقيع الأرض، ولا طعاماً يقوّي عودهم على البرد.

إنها دعوة لتلمس حاجات المحتاجين، من جيراننا أو من يسكن الأحياء الفقيرة ومعسكرات النزوح، الذين لا يجد بعضهم بطانية يستدفئ بها، أو غطاء أو كساء ثقيل لأبنائه يقيهم البرد الشديد، وهناك بعيداً في الشام إخواننا في سوريا وفلسطين الذين شردتهم الحرب وعدوان اليهود يعانون من موجة صقيع مات بسببها عدد من الأطفال والمسنين جُمداً، وهذا ما يهز وجدان المسلم، أن يموت فرد من المسلمين من شدة البرد ولا يجد من يقدم له شيئاً.

وهناك عبادات يزداد أجرها في الشتاء، فيجب المحافظة عليها، فإسباغ الوضوء في شدة البرد من أفضل الأعمال، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلك الرباط».

وفي فصل الشتاء تكثر الأمراض، فالصبر على ذلك واحتساب الأجر ينفع قلب المؤمن وبدنه، ولا يعني ذلك عدم التماس العلاج والدواء، بل المطلوب ألا نتضجر من شدة الزكام أو السعال أو الحمى، فإنها مكفّرات، فقد أخرج البخاري في صحيحه من

لا شك أن تقلّب الزمان وتصرف الأحوال من حر إلى برد، ومن صيف إلى شتاء، إنما هو بحكمة الله تعالى وتصريفه، فهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده «فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» النساء: ١٩.

ومع اشتداد البرد هذه الأيام في بعض مناطق العالم، نتذكر أن شدة البرد وشدة الحر تفسّسان من جهنم؛ لتذكير العباد في الدنيا بنار الآخرة؛ ليتقوا ما يوردهم إياها، وبأخذوا بأسباب النجاة منها، ففي حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشْتَدُّ مَا جَدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا جَدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ» متفق عليه.

والناس يخافون البرد ويتقونه أكثر من الحر، ومن كمال نعيم أهل الجنة أنهم لا يجدون فيها حرّاً ولا برداً، قال تعالى: (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) الإنسان: ١٣، والزمهرير هو «البرد القاطع»، قال قتادة رحمه الله تعالى: «عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ تُؤْذِي وَشِدَّةَ الْبَرْدِ تُؤْذِي فَوَقَاهُمْ أَذَاهُمَا جَمِيعًا».

وقد أعجبني قول الشاعر:

كم يكون الشتاء ثم المصيف \*\*\* وربيع يمضي ويأتي الخريف  
وارتحال من الحرور إلى البرد \*\*\* وسيف الردى عليك منيف  
يا قليل المقام في هذه الدنيا \*\*\* إلى كم يغرك التسوييف؟  
عجباً لأمريّ يذلّ لذي الدنـ \*\*\* يا ويكفيه كل يوم رغيـ  
ومرور الشتاء على الناس في هذه الأيام يدعو للتفكير فيما يقع من خلاله من عبث، فمن نعم الله على الناس في الشتاء أن الليل فيه يطول، والنهار يقصر، فهو كما قيل: ربيع المؤمن، طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه، وهو كما قال بعض العلماء: الشتاء هو الغنيمة الباردة، وقال عمر: «الشتاء غنيمة العابدين».

فمن تفكر بهذه الطريقة علم أن الله -جل وعلا- أراد بالناس الخير في طول الليل وقصر النهار، ولكن أين المشمرون للغنيمة

حديث سعد قال -صلى الله عليه وسلم-: «ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». وعندما يحل فصل الشتاء خاصة إذا كان شديد البرودة. تكثر أسئلة الناس حول بعض الأمور الفقهية والأحكام ذات العلاقة بهذا الفصل. ومن ذلك أحاديث المسح على الخفين. وقد جمع العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله الأحاديث التي تُثبت المسح على الجوربين في كتاب سماه «المسح على الجوربين». والجورب أو الشُّراب كما عندنا في السودان معروف لكل أحد: وهو مطلق ما يُلبس في الرجل من غير الجلد. سواءً أكان رقيقاً أو غليظاً. ونقل النووي جواز المسح على الجوربين وإن كانا رقيقين عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. ويجوز المسح على الثعل كذلك، لفعله صلى الله عليه وسلم. كما صح في السنة.

ولهذا المسح أحكام منها أنه يلزم الإنسان عند لبس الخفين من شُرَاب ونحوه أن يكون طاهراً متوضئاً. ويمسح عليهما عند الوضوء. إن كان مقيماً يوماً وليلة. وإن كان مسافراً ثلاثة أيام بلياليهن. وتبدأ مدة المسح على الخفين من أول مسحة عليهما. فإن لبس الإنسان خفيه عند صلاة الفجر ومسح عليهما في صلاة الظهر فابتداء المدة من الوقت الذي مسح فيه عند صلاة الظهر. فيمسح المقيم إلى مثل ذلك الوقت من الغد. وإذا تمت المدة. وهو على طهارته. فطهارته باقية حتى ينقض. وإذا انتقضت بعد تمام المدة وجب عليه غسل رجليه إذا توضأ. ثم يلبس من جديد.

ويكثر كذلك السؤال عن المسح على الشُّراب المحروق. وهو جائز ما دام اسمه باقياً. والمشي فيه ممكناً. وهذه رخصة. وهل كانت خفاف الصحابة إلا مُخرقة مشققة بسبب الفقر. ولو كان الحرق يمنع من المسح لبينه صلى الله عليه وسلم. وما نُقل عن الإمام ابن دقيق العيد قوله: «وقد اشْتَهَرَ جواز المسح على الخفين عند علماء الشريعة. حتى عُدَّ شعاراً لأهل السنة. وعُدَّ إنكاره شعاراً لأهل البدع».

ومن أحاديث الشتاء الشهيرة حديث الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه. والذي قال فيه: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت أن أغتسل فأهلك. فتييممت. ثم صليت بأصحابي الصبح. فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: (ولا تقتلوا أنفسكم) إن الله كان بكم رحيماً { فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يقل شيئاً ».

وهذا الحديث غير أحكامه المتعلقة بالشتاء. فهو حجة في إثبات السنة التقريرية. ومعلوم أن السنة التقريرية نوعان: نوع ثبت علم النبي صلى الله عليه وسلم به وسكت عنه. ونوع لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه مع حدوثه في زمنه. ولا يُعد من السنة التقريرية إلا بإثبات علم النبي صلى الله عليه وسلم. ثم سكوتهم وعدم الإنكار. أما ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم وسكت عنه فإنها سنة تقريرية لا تفيد الوجوب أو الاستحباب وإنما تفيد الإباحة. ومنه هذا الحديث آنف الذكر. وضحك النبي صلى الله عليه وسلم إقرار يفيد حل التيمم إذا أشفق الإنسان على نفسه من برودة الماء. وإن كان بعض العلماء يرى الأمر قد يصل إلى الوجوب إذا تيقن المسلم أن ضرراً محققاً سيصيبه إن اغتسل بالماء البارد.

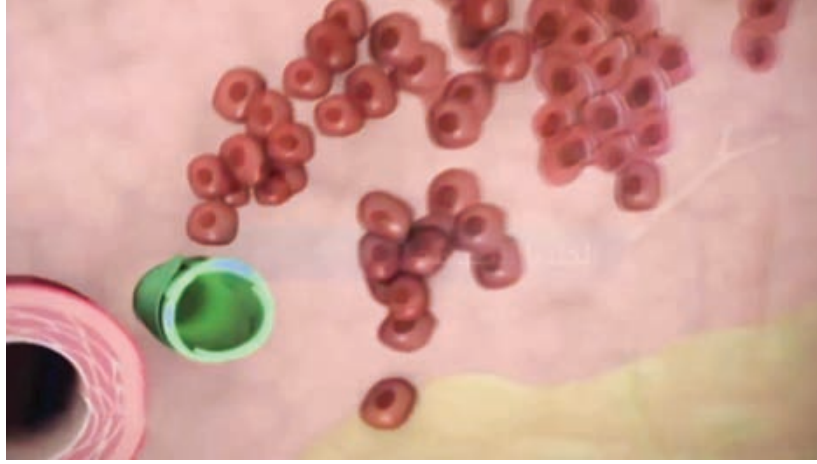
ويجوز التيمم خوفاً تلف باستعمال الماء أو زيادة وجع: لما ورد في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه. وكذا المريض الذي لا يجد أحداً يأتيه الماء ولا يقدر عليه. وليس له خادم ولا من يعينه. فإذا لم يستطع أن يتناول الماء وليس عنده من يأتيه به. ولا يحبو إليه تيمم وصلى. إذا حلت الصلاة: لأنه اتقى الله ما استطاع. قال الله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) .

ومن الأمور المهمة في أمر التيمم أنه طهارة كاملة مثلها مثل الوضوء. فهناك من يظن أن التيمم أقل رتبة من الوضوء. حيث يقال «إذا حضر الماء بطل التيمم». ولكن هذه المقولة لا تصح في الشتاء القارس الذي يخشى صاحبه من الهلاك إذا توضأ أو اغتسل. أو المريض الذي لا يستطيع أن يمس الماء. كما أن التيمم يمكن أن يصلي بتيممه أكثر من وقت. لا كما يظن البعض. أن لكل صلاة تيمماً منفصلاً.

ومن فوائد حديث عمرو بن العاص جواز صلاة التيمم بالمتوضئين. كما يجوز التيمم لكل مايتطهر له من صلاة مفروضة أو نافلة. أو مس مصحف. أو قراءة قرآن. أو سجود تلاوة أو شكر. أو بُث في مسجد. للأحاديث السابقة. ولأنه يستباح بالتيمم ما يستباح بطهارة الماء.

ومن أحاديث الشتاء. حديث: «الصوم في الشتاء الغنيمه الباردة». وهو في السلسلة الصحيحة. وحديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في الشتاء والورق يتهافت فأخذ بغصن من شجرة. قال فجعل ذلك الورق يتهافت. فقال: يا أبا ذر قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «إن العبد المسلم ليصلي الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة» رواه أحمد بإسناد حسن.





## حقائق حول

# سرطان الجلد

د. حذيفة أحمد الخراط

المدينة المنورة



### أسباب سرطان الجلد

لا تزال أسباب إصابة الجسم بداء السرطان عموماً غامضة بعض الشيء، ولم يُكتشف النقاب بعد إلا عن يسير من المعلومات في هذا الشأن. وما تم حتى الآن التعرف عليه في باب سرطان الجلد من الأسباب نذكر:

١- كثرة تعرّض الجلد لأشعة الشمس، وهو السبب الرئيس في ظهور سرطان الجلد. فللأشعة فوق البنفسجية ultraviolet irradiation قدرة مثبتة على اختراق طبقات الجلد، وإحداث التخریب في خلاياها وأنسجتها المختلفة، مما قد يقود لاحقاً إلى ظهور السرطان.

ويذكر هنا أنّ تلقّي الجلد وامتصاصه للأشعة المذكورة، أكبر لدى أصحاب البشرة البيضاء، وبذلك تزيد نسبة احتمال إصابتهم بسرطان الجلد، وهذا يفسّر سبب قلة أعداد المصابين في المجتمعات الإفريقية ذات لون البشرة الغامق. والعلاقة طردية بين عدد ساعات تعرّض الجلد لأشعة

تفيد الإحصائيات الطبيّة الحديثة، تسجيل إصابة ما يقرب من ثلاثة ملايين حالة جديدة من سرطان الجلد سنوياً في دول العالم المختلفة، مما يجعله أكثر أنواع السرطان التي تصيب جسم الإنسان على الإطلاق.

من الناحية التشريحية، يتكوّن جلد الإنسان من طبقتين، الظاهرة منهما هي البشرة epidermis، التي تنفّرع إلى خمس طبقات دقيقة، وتقع الطبقة الباطنة أسفل منها، وتُعرف بالأدمة dermis، التي تتكوّن من طبقتين، ولكلّ من تلك الطبقات الجلدية خلاياها المكوّنة لها، التي قد ينشأ السرطان منها.

وللجلد بعض الملحقات التشريحية skin appendages التي تتبعه، مثل الأظافر، والشعر، والغدد العرقية والدهنية، وأوعية الدم، والعضلات، ولكلّ منها وظيفته الخاصة.

١- سرطان الخلايا القاعدية basal cell carcinoma . وهو أكثر أنواع السرطان التي تحدث في جلد الإنسان. ومسببه الأول التعرض للأشعة فوق البنفسجية. وينشأ هذا السرطان من خلايا في بشرة الجلد تعرف بالخلايا القاعدية basal cells. وهي التي أكسبت الداء هذا الاسم. وأكثر ما يظهر في جلد الوجه والأنف وحول العينين.

ويبدأ الداء عادة بصورة بثرة صغيرة. سرعان ما تتقرح وتفرز بعض المفرزات التي قد تمتزج بالدم. وما يميزه أن معدل نموه بطيء جداً. ويندر انتشاره إلى أجزاء أخرى من الجسم. ويبقى تأثيره في نطاق ضيق في المكان المصاب من الجلد.

٢- سرطان الميلانوما melanoma . وينشأ من الخلايا المصبغة لصبغة الميلانين في طبقة أدمة الجلد. وتظهر الإصابة هنا بصورة طفح جلدي. أو بثرات ذات لون أسود مميز. وسرعان ما ينتشر الداء فيصيب أعضاء أخرى في الجسم. كالعقد الليمفاوية والرئة والكبد والعظام. وهذا قد يهدد حياة المريض.

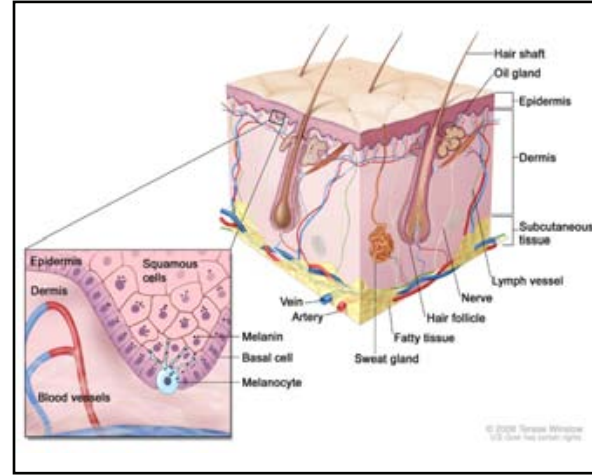
٣- سرطان الخلايا الشائكة squamous cell carcinoma. وينشأ من خلايا في البشرة تعرف بالخلايا القرنية keratinocytes. ويمتاز بمعدل نمو وانتشار سريعين. وكثيراً ما ينتشر ليصل إلى الرئة والعظام والدماغ. وتظهر معظم حالاته في أماكن الجسم التي تتعرض بكثرة لأشعة الشمس. كالوجه والرقبة والظهر والكفين.

٤- أنواع أخرى نادرة. مثل: سرطان الأوعية الدموية للجلد. وسرطان ملحقات الجلد الذي قد يصيب غدد الجلد. أو خلايا بصيلات الشعر. وجميع هذه الأورام. تظهر في الجلد المصاب بصورة متشابهة عادة. ويبقى التشخيص النهائي لتحديد نوع السرطان. من مهام الطبيب الفاحص.

وبعد أخذ عينة من خلايا الجلد المصاب. أهم وسيلة لتأكيد تشخيص الإصابة بسرطان الجلد. ويتم هنا فحص تلك الخلايا تحت المجهر. إذ إنّ لخلايا السرطان مظهراً يميزها عن خلايا الجلد الطبيعية. ويمكن بهذه العينة تحديد نوع السرطان. ومعرفة الخلايا التي نشأت عنها. مما يعطي فكرة مبدئية عن خطة العلاج التي سيرسمها الطبيب المعالج.

### علاج سرطان الجلد

ينبغي المسارعة في التفكير في وسائل علاجية تساعد في منع المرض من الانتشار. وبالتالي الحد من مخاطره ومضاعفاته. وثمة العديد من تلك الوسائل التي تقضي على الخلايا السرطانية وتوقف نموها وهجومها. وطرق العلاج تلك جراحية وغير جراحية.



الشمس وظهور السرطان. فزيادة الأولى تقود إلى زيادة الأخرى. وذلك لتسلسل كميات أكبر من الإشعاعات الشمسية الضارة نحو الجلد.

٢- لبعض أنواع الأشعة المتأينة ionizing radiation . مثل أشعة إكس X-ray . وإشعاعات الراديوم. والمواد المشعة. دور في إصابة الجلد بالسرطان. إذ تسبب ما يعرف بالتهاب الجلد الإشعاعي radiation dermatitis . وهذا قد يتطور إلى سرطان الجلد مع مرور الوقت.

٣- تحمل بعض الكيماويات خطر تعريض الجلد إلى الإصابة بالسرطان. أثناء تماسها الطويل معه. ومن المواد المتهمه في ذلك: الهيدروكربونات الحلقية polycyclic hydrocarbons. التي تدخل في صناعة الفحم والإسفلت والزيوت الصناعية. ٤- قد تظهر في الجلد تقرحات مزمنة. تنتج عن الحروق القديمة. أو عن الإصابة بمرض الدوالي. وهناك من الدراسات ما يفترض أن هذه القرّح قد تتحول إلى سرطان جلدي. إلا أن هذا يظهر بعد فترات زمنية طويلة.

٥- لجهاز المناعة السليم في جسم الإنسان. مقدرة على الحد من هجوم الخلايا السرطانية. ومنع تكاثرها في الجسم. وعليه فإنّ ضعف هذا الجهاز. يزيد من احتمال الإصابة بأمراض السرطان عموماً ومنها سرطان الجلد. وأهم أسباب ضعف مناعة الجسم: الإصابة بمرض نقص المناعة (الإيدز).

٦- يترافق حدوث سرطان الجلد مع بعض الأمراض الوراثية. ومنها: داء المهق Albinism. وهو مرض جلدي يمتاز بشدة حساسية صاحبه لأشعة الشمس. ومنها كذلك مرض جفاف الجلد Xeroderma pigmentosum.

### أنواع سرطان الجلد

يمكن لنا تقسيم سرطان الجلد عموماً إلى الأنواع التالية:



### علاج سرطان الجلد جراحياً

- ١- استئصال الورم عن طريق الجراحة. ويعدّ أكثر الوسائل العلاجية استعمالاً وكفاءة.
- ٢- طريقة الدكتور (موهس) لعلاج سرطان الجلد. وقد اشتمت هذه الطريقة من اسم مبتكرها الدكتور فريدريخ موهس Fredric E. Mohs. وتعتمد على حقن مادة كلوريد الزنك zinc chloride . في مكان الإصابة مما يؤدي إلى تثبيت الخلايا السرطانية، والحد من انتشارها إلى الأنسجة المجاورة. ثم تزال هذه الخلايا جراحياً.
- ٣- طريقة الكحت الجراحي curettage . ويقصد بها استخدام أداة جراحية لكحت الجزء الظاهر من سرطان الجلد. وبالتالي التخلص من الخلايا المصابة. والوصول إلى خلايا الجلد السليمة.

لا تداهننّ للحجاب الشرعي.

ومن طرق الوقاية الأخرى: استخدام واقيات الشمس sunscreens . وهي مراهم تعمل في وقاية الجلد من التأثير السلبي لإشعاعات الشمس المؤذية. ومنها أيضاً الوقاية الدوائية. ويقصد بها تناول بعض الأدوية التي تقي من حدوث الإصابة بسرطان الجلد. ومن أشهرها: مشتقات فيتامين (أ) الذي أثبتت الدراسات الحديثة أنّ له تأثيراً وقائياً للعديد من أمراض الجلد ومنها السرطان. ويتوفر هذا الفيتامين في مشتقات الحليب والبيض وكبد الحيوانات. ولذلك ينصح بالإكثار من هذه المواد الغذائية.

### أهم المراجع

- 1- Dr. Hothaifa A. Al-kharrat: Recent trends in treatment of non-melanomatous skin cancer. Cairo University, 2002.
- 2- Peter L and Mary D: Gray's anatomy, 37th edition.
- 3- Jerant AF et al: Early detection and treatment of skin cancer. AM Fam Physician, 2000
- 4- Stern RS et al: Risk reduction for nonmelanoma skin cancer with childhood sunscreen use. Arch dermatol, 1986.
- 5- Olbrecht EK: Treatment of malignant cutaneous tumors. Clin Plast Surg, 1993.
- 6- Mohs FE: Mohs micrographic surgery. Dermatol Clin.
- 7- Sober AJ : Diagnosis and management of skin cancer. Cancer 1993.

### طرق المعالجة الأخرى لسرطان الجلد

هناك بعض الوسائل التي لا تعتمد على الجراحة في معالجة سرطان الجلد. ومنها:

- ١- استخدام النيتروجين السائل liquid nitrogen . وهو مادة تعمل في خفض درجة حرارة الخلايا السرطانية وصولاً إلى درجة التجمّد. مما يقود إلى قتل تلك الخلايا.
- ٢- استخدام الليزر. وهنا تعمل الطاقة المنبعثة على تخريب خلايا السرطان وقتلها. ويحدث ذلك بعد أن تمتص هذه الخلايا جزءاً من الطاقة الموجهة إليها.
- ٣- لبعض العقاقير الكيميائية القدرة على قتل خلايا السرطان. ومن أكثرها استخداماً: عقار الفلورويوراسيل 5-Fluorouracil . ويتمّ تصنيعه بصورة دهان يوضع فوق الجلد المصاب. وتمّ حديثاً إضافة عنصر فيتامين (أ) إلى هذا الدواء. لما ظهر له من خصائص تعزّز الأثر العلاجي للدواء المستخدم.
- ٤- استخدام الأشعة العلاجية. وهنا يتمّ تسليط أنواع معينة من الأشعة بجرعات محددة. باتجاه الخلايا المصابة. مما يقود إلى إيقاف نموّها وتعطيل عملية تكاثرها.

### الوقاية من سرطان الجلد

إنّ سرطان الجلد أحد الأمراض التي يمكن إلى حدّ ما. الوقاية منها باتباع بعض الوسائل الوقائية ومنها: التقليل من التعرض الزائد لأشعة الشمس. وبخاصة من قبل أصحاب المهن التي تستدعي فعل ذلك. ويساعد في ذات الأثر ارتداء الملابس الواقية التي تصدّ هجوم الإشعاعات الشمسية. ولذلك تقل نسبة إصابة نساء الدول الإسلامية بهذا الداء. مقارنة بالدول الأخرى. وذلك





## الإسلام يحصو إلى الأخلاق الحميدة

بقلم الدكتور عبد الله مبشر الطرازي

عنهم تكون مسالماً تعيش محبوباً بينهم. وقد جمع بعض العلماء علامات حسن الخلق فقالوا: «هو أن يكون الإنسان كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً، صبوراً شكوراً، رضيعاً حليماً، رفيقاً عفيفاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا غاماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً، ولا بخيلاً ولا حسوداً، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويبغض في الله».

وعلى ذلك فإن الإنسان يستطيع أن يسلك الطرق الحكيمة التي تتفق مع مكارم الأخلاق، في قوله وعمله وسلوكه، وبذلك يعيش معززاً مكرماً بين الناس في الدنيا، وينال الأجر العظيم في الآخرة.

ولنا أسوة حسنة في سيدنا وحبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخلاق الإسلامية، فهو فيها النبع الخالص للأخلاق الحميدة كلها. ويكفي أن شهد له بذلك رب العالمين في قوله تعالى: «وإنك لعلی خلق عظیم» وعندما سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم، قالت: «كان خلقه القرآن».

ومجد في القرآن الكريم آيات كثيرة بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم، تصف شمائله الطاهرة وشيمه العالية، فيصف الله تعالى مثلاً لئن جانبه وسماحة نفسه ورقة قلبه وشدة عطفه على أمته فيقول: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين».

ونحن ملزمون بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومأمورون باتباعه، والمؤمن الصادق هو الذي يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم ويتبع كل ما جاء به، قال الله تعالى مخاطباً رسوله: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم».

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لطاعته وأن يجعلنا من المتمسكين بتعاليم القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والله ولي التوفيق.

لقد دعا الإسلام إلى الأخلاق الحسنة، واعتنى بها أكثر مما اعتنى سائر الأديان السماوية بها، بل جعل الدعوة إلى كمال الأخلاق غاية المنشودة، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ولا شك في أن الأخلاق الحسنة، التي دعا إليها الإسلام، إنما تلخص في طاعة الله سبحانه وتعالى وإطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفي إطاعة أولي الأمر، حيث يقول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً» وتلك الإطاعة لله تعالى ورسوله الكريم وأولي الأمر تربي الإنسان المسلم تربية صحيحة في جميع شؤون دينه وشؤون حياته، فتجعل منه إنساناً خادماً لدينه ومفيداً لوطنه ونفسه، وتخلق من مجتمعه مجتمعاً صالحاً، وتجعل من وطنه دولة قوية عظيمة.

ولقد نهى الإسلام عن الأقوال البذيئة والأفعال السيئة، وقرر جزاءً رادعاً لمن يرتكبها، ولا شك في أن النهي عنها سياسة حكيمة، تحفظ الكيان الإنساني وتحمي الحقوق وتحافظ على الأمن، وبذلك يعيش المجتمع في العزة والطمأنينة، والسعادة والرفاهية.

وقد يطلق حسن الخلق ويراد به التأدب بأداب الله تعالى التي أدب بها عباده وأودعها في كتابه الكريم، من مثل قوله: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين».

وقال الإمام أحمد: «حسن الخلق ألا تغضب وألا تحقد» وقال بعض العلماء: «من حسن الخلق طلاقة الوجه وبذل العطاء وكف الأذى» ومعنى ذلك أنك بحلمك تتصرف تصرفاً سليماً مع الناس، وبعدم حقدك عليهم تجذب إليك محبتهم واحترامهم، وببشاشة وجهك تستميل قلوبهم، وبعطائك لهم تعاونهم على الخير، وبكف الأذى



مسجد أحمد الفاتح - البحرين

